نثار الغدير

• عبد المجيد فرج الله

زمـــن مـعـشـب بـفـجـر غضير ... خاطبته الـسـماء: أسرج عبيري
واطـو عمر الأرجـاء باقة شوق ... لـسـنـاي المـقـدس المـنـثـور
واملأ الوهج أحـرفي... تتعانق ... أمـنـيـات المـسـتـقـبـل المستنير
فيدب الـنـداء... ينتشر الصبـ ... ـح... يروي الضحى نثار الغدير

* * * * *

عـقـر الـنـخـل والـتـوى ... وانـزوى الـصـبـح وانتكس
وشرأبـت عـقـارب ... والمـدى بـالـلـظـى انبجس
وتهـاوى الـغـد ـ الجـنـى ... في يـبـاب مـن الـغـلـس
شتموا الـشـمـس... أحرقوا ... بـابهـا... أوثـقـوا القبس
غضبت... ثـم هـزهـا ... حـبـهـا... أسرجـت نفس

* * * * *

ضاق وجه الفضاء... واختنق الأفـ ... ـق...وضجت في الارض ذكرى النور
وطـفـت جاهلية الـفـشـل الجـا ... ني... فهبت من قمقم مكسور
نهـضـوا يجـمـعـون آخـر أنـفـا ... س حيارى من كل صدر حصور
ومشوا يقلعون عن حـدق العا ... لم وجـه الـقـذى الـظـلـوم المرير

* * * * *

هـرعـوا حـين خـنـقـوا ... لـلـربـيـع المـنـور
واشتكوا... وانحنوا... بكوا ... مـن جـحـيـم الـتـحـير
حمـلـوا ألـف نـبـضـة ... لـنـداه المـطـهـر
أحـدقـوا حـول نـبـعـه ... وانـتـشـوا بـالـتـعـطـر

* * * * *

كـان درب الـنـور النقي طويلاً ... وصريـح الخـطـى، وعـف المسير
وقـلـوب الأطـمـاع أنهكها الإمـ ... ـساك عن لقمة الفقير الكسير
فاستفاقت أهـواؤهـم... فتنامى ... شره مـاضـغ بـقـايـا الضمير
لم تـدع قـولـة الحقيقة صحباً ... غير نـزر، يطوي الطريق، يسير

لكِ اللّهُ من أمة

• محيي الدين الجابري

ذراعــانِ فـجـرانِ فـوقَ المـدَى ... يـمـدّانِ نـحـوَ الـسـماءِ يَـدا
أطـلاّ عـلى كـوكـبٍ حـائـرٍ ... ولاحـا لـهُ أفـقـاً فـاهـتـدى
أطـلاّ فـبـايـعـتِ الـكـائـنـاتُ ... ونـادى بـهـا اللهُ أن تسجدا
ذراعـانِ نـهـرانِ يَظْمَى الخُلُودُ ... فـيـأتـيـهـما مـوردا مـوردا
وصـوتـانِ هـذا بـأذنِ الـزمَـانِ دويٌّ وهـذا بـأذنٍ صـدى
وروحـانِ إلـفـانِ يـا للسماء ... كيفَ اصطفى الفرقدُ الفرقدا
وكـيـفَ عـلى أفـقٍ واحـدٍ ... تـطـامـنَ نـوراهُـمـا سرمـدا
فـجـازتْ إلى غـدِهـا أمـةٌ ... مشى الأمسُ فيها يباهي الغدا
ولـكـنَّـهـا حـينَ عـزَّ الـرشَـادُ ضـيـعـتِ الـرشـدَ والمـرشـدا
وآوتْ إلى جـرحِـهـا المُـسْـتَـكِـنِّ تحـركُ فـيـهِ الـدمَ الأسـودا
فـكـانـتْ عـلى عَـهْـدِهـا بـالـشَـتـاتِ تمـجّـدُهُ سـيـداً أوحـدا
تـريـقُ دمـاً قـانـيـاً لـلـوضـوءِ وتـنـحـتُ جمجمةً مسجدا
وتـرفـعُ فـوقَ الـقَـنـا آيـةً ... أرادَ بـهـا اللهُ أن يـعـبـدا
وتـهـشـمُ صـدراً بـأضـلاعِـهِ ... يـلـوذُ مـن الـعـاديـاتِ الهـدى

* * * * *

لـكِ اللهُ مـن أمـةٍ آمـنَـتْ ... ولـكـنَّ طـغـيـانَـهـا ألحـدا

وأطفأَ نوراً بهِ تهتدينَ وأوقدَ للشركِ ما أوقدا
فعادَ هشيماً حصادُ الربيعِ بكفيهِ والأمنياتُ سدى
لكِ اللهُ يا أمة أَتْأَمَتْ فأنجبتْ العبدَ والسيدا
يُرَمِمُ هذا حطامَ العروشِ وهذا يدكُّ جدارَ الردى
وهذا يشيدُ صروحَ الطغاةِ وهذا يهدُّ الذي شيدا
لكِ اللهُ من أمةٍ جرحُها تعبٌّ الى الآن منهُ المدى
يخيطُ لكِ الذلُّ ثوبَ الأمانِ ويرفوُ لك الخوفُ ما قددا
وأنتِ تمدينَ كفاً وهَى بها العزُّ تسترُ عرياً بدا
لأنّكِ قبلَ تمامِ النسيجِ أبدلتِ لحمتَه والسدى

* * * * *

تباركتِ من أمةٍ لا تنامُ إلاّ على موعدٍ يفتدى
تقرّبهُ بنجيعِ الدماءِ وتدنيهِ بالظلمِ ان أبعدا
وتخشاهُ يأتي على موعدٍ وحاشاهُ يخلفهُ موعدا
رصَفنا لهُ جمرَ أضلاعِنا دروباً فجازَ بها مفردا
إذا مالَ عن مقصدٍ دربُنا أشارَ لنا يوضحُ المقصدا
على هديِ عينيهِ مدَّ النهارُ جسراً لموعدهِ فاهتدى
غداً حينَ تومئُ كفُّ السماءِ الى رايةِ الحقِّ ان تعقدا
تشعُّ الجراحاتُ مزهوةً ويحفلُ قيدٌ بما قيدا

* * * * *

عيد الغدير

• السيد عبد الأمير جمال الدين

سكرَ القريضُ وأسكر الأقداحا ... وأدارهـا فـوقَ النجوم صباحا
فغدت سماءُ الفكر روضةَ شاعرٍ ... والشعرُ أصبح شادياً صدّاحا
وجرى (الغديرُ) فأمرع الروح التي ... وجدت هنالك روحها والراحا
فخجلت من وهج الحروف تحوك لي ... من مشرق الحب الـوفي وشاحا
وقد استمحتُ الحبَّ معذرة وما ... أدري أيمنحُ للمحب سماحا!!
فـجـبـال ديـن محـمـد هـم آلـه ... شمم بها أبتسم السنا ممراحا
هيهاتَ أن يرقى إليها طائر ... حتى لو اتخـذَ الشموس جناحا
يا أل بيت محمد لا والـذي... ... خلق الجسوم وروح الأرواحـا
لم أتخـذ إلا ولاكـم مذهبا ... إذ ضاء بين جوانحي مصباحا
كشف الظلام عن العيون وقد بدا ... حقاً على بصرِ العقول صراحا
والعقل ذو عين إذا ما أبصرت ... فرشت طريق المبصرين فلاحا
سبحان من خلق العقول وزانها ... بهـداه فـازداد الصلوح صلاحا
حمـداً لـك اللهم إذ ألهمتني ... قـصـداً يضمد للفؤاد جراحا
إني أحب وليه (الهـادي) الذي ... أهوى وأعشق (نهجه) الوضاحا
(وغديره) العذب الزكي وقد غدا ... قـلـبُ المتيم يشتذيه أقاحا
لمـحـمـد ولآلـه أنـا أنتمي ... بدم فخذ مني الحـروف فصاحا
هي دوحـة شماء حسب أصولها ... أن تزدهي فيها الفروع طماحا

علويةُ الأغصانِ تثمر بالندى والطيبات وما عُـدِمـنَ لقاحا
الله بـاركـهـا، فيا طـوبـى لمن يستاف منها عطرها الفواحا

* * * * *

عـفـواً أمـيـر المـؤمـنـين فإنه قلب المحب بما يسر أباحا
عـادت له ذكـرى الغدير فهزه شـوق لأيـام مـضـين ملاحا
أيـام كـان الحـق ينشر دعـوة تحيي النفوس وتقهر الأشباحا
يـوم بـه وقـف الـرسـول مبلغاً مـن ربـه أمـراً يـضـج فلاحا
مـن كنت مـولاه فـذا مـولى له فليتخذه المـؤمـنـون وشاحا
قـد قـالهـا والجـمـع يعلم أنـه سينال إن جهل الخطاب جناحا
كـل يبخبخ لـلـوصي مبايعاً في خـير عـيـد لـلـبريـة لاحـا
لله مـا أبهـاه يـومـاً خـالـداً بالظالمين وبـالـظـلام أطاحا
فـإذا بـرمـضـاء الحـجـاز ندية تهـب الحـيـاة فحية وسـماحـا
يا أيها (النبأ العظيم) ولا أرى نهجاً كنهجك أعجز الشراحا
قرن الولاء مع (الغدير) فخذ به للحق نهجاً والهـدى وضاحا
مـن نـور حـيـدرة تبلج نـوره وسرى يعانق أنـجـداً وبطاحا
بـشرى لمـن لـزم الـنـبـي وآلـه سينال في يـوم الحساب نجاحا
(عيد الغدير) تحية من شاعر أضحى بيومك ينشر الأفراحا
ويعب من كأس المحبة وألوفا نخباً جـرى فيه الـولاء قراحا
حـب الـوصي هـو النجاة لأمة تنضوه إن عم الضلال سلاحا

كلمة العدد

الحقيقة الضائعة

المشرف العام ١٠

قرآنيــات

التصوير القرآني للعقبات النفسية

أ. م. د. مشكور العوادي ١٢

العدول الأسلوبي في الكلام

د. زهير غازي زاهد ١٨

آمن الرسول

الخلافة والاستخلاف في القرآن الكريم

السيد عبد الستار الجابري ٢٤

استطلاع المجلة

مرقد ميثم التمار..أثر خالد لنموذج الصفوة العلوية

حيدر الجد ٣٠

في رحاب الفقه

أجوبة استفاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٤٦

واحة الأدب

خطبة الغدير.. دراسة في المضمون النثري

م. م. حيدر كريم الجمالي ٥٠

في النفس والمجتمع

قدسية المرأة ومكانتها بين التشريع والقانون

أ. د. الشيخ صاحب نصّار ٥٨

ص ٨٠

ص ٦٤

ص ٨٧

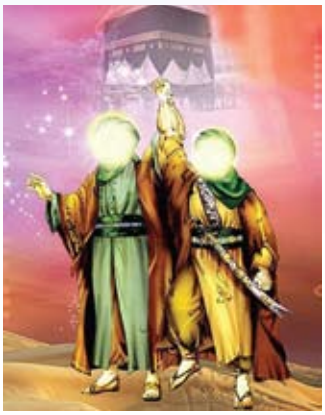

ص ٥٠

ص ٧٤

ص ١٠٠

أضاءات السيرة

الإمام محمد الباقر(ع).. تاريخ وضّاء

السيد أحمد الحكيم ٦٤

دلائل الإمامة لعلي(ع)

منذر جواد مرزه ٧٤

للفضيلة نجومها

الشيخ حسين الحلي.. أستاذ الفقهاء

حيـدر المالكي ٨٠

هكذا قالوا في إمام اللغة مهدي المخزومي

مهدي النجفي ٨٧

الشاعر والفقيه الشيخ عبدالعظيم الربيعي

حسين جهاد الحساني ٩٢

طروحات عامّة

دراسة في جذور ونشأة مدينة (محلات النجف)

حيدر نـزار ١٠٠

الرمزية والجمال في فنون العمارة الإسلامية/ ح٢

د. علي ثويني ١٠٦

البرزخ.. دراسة علمية حول عالم البرزخ/ ح٢

أسامة النجفي ١١٦

مقام الإمام المهدي(ع)

سلمان هادي آل طعمة ٩٨

لقاء مع الأديب جابر الكاظمي

أحمد الكعبي الطويرجاوي ١٢٤

أجوبة مسابقة العدد(١٣) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسـابقة العـدد ١٢٩

ينابيع العدد (١٥) ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٧هـ

كلمة العدد

الحقيقة الضائعة

بسم الله الرحمن الرحيم

في يوم شديد الحر وقد قفلوا راجعين إلى بلدانهم بعد أداء مناسكهم حتى وصلوا إلى مفترق طرق يؤدي في غالب الأحوال إلى تفرقهم وعدم اجتماعهم إلا في السنة المقبلة فتكون المسافة الزمنية بعيدة والالتقاء صعب. فكانت النظرة الإلهية الحكيمة تحتم جمع هذا الجم الغفير من الناس وتهيئتهم نفسياً لقبول قضية إلهية طالما كانت صعبة على النفوس حسداً وغيضاً وحقداً من جانب وتبليغاً تطوّق به الأعناق لئلا يقول الناس لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة من جانب آخر.

فأصدر أوامره إلى من اجتاز الطريق أن يرجع ويقف في ذلك المفترق الذي تتشعب فيه طرق المدنيين والعراقيين والمصريين فوقفوا ينتظرون ما تجيء لهم الأوامر الإلهية وما تدعوهم إليه. وكان ذلك في يوم حار حتى أن الرجل منهم ليضع رداءه على رأسه وفاضله تحت قدميه يتقي به من شدة الحر حتى بالغت بعض الروايات بأن قالت: لو وضع اللحم في تلك الرمضاء لانشوى، وذلك يكشف عن هول حرارة الشمس في ذلك القيظ.

واعجباً! ما هو الأمر الخطير الذي ينتظر هذه الأمة حتى تمتحن بهذا الامتحان العسير.. وقف ووقفوا جميعاً فصلى الظهر بعد أن «نهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد... فقَمَّ ما تحتهن». فلما انصرف من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته. فقال ﷺ بعد أن حمد الله بأبلغ الحمد وأوصى بالثقلين فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال ﷺ: «الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا. والأصغر عترتي، وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا». ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون. فقال ﷺ: «أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه».

إن من يسرد الوقائع الإسلامية التاريخية ويصل إلى هذه الواقعة ينتابه إحساس مذهل وتوجس شديد لعظم هذا الموقف وفداحة خطبه، وإلا فما الداعي لكل هذه المقدمات المعقدة وهذا الأسلوب الفريد في طرح حقيقة هي ثابتة على طول خطه الرسالي، فإنه ﷺ قبل أكثر من عشرين عاماً أي بعد ثلاث سنين من الرسالة ورده الأمر الإلهي بالدعوة وإنذار العشيرة، فدعى عشيرته وكانوا أربعين نفراً وعرض نفسه عليهم نبياً وخاتماً للأنبياء، وثم

نصب علياً عليهم وبدأ من ذلك اليوم على هذه الشاكلة. لا تمر عليه مناسبة ولا مجلس بل لا تفوته فرصة إلا ويذكر علياً ببيانات مختلفة ومناسبات متفاوتة وطرح لا يشبهه طرح آخر، فلم يكتف بذلك كله حتى يصل الحال به إلى اتخاذ هذه الإجراءات.. وبهذه الكيفية؟!.

هذا تساؤل يطرح من ذي علم أحسب أن لا يغيب الجواب عنه عند كل مسلم إلا من أعمى عينه عن رؤية الحق، وأغلق قلبه عن قبول الأمر الإلهي.

فإن التأكيد الحثيث على قضية معينة في مناسبات مختلفة وبأساليب بيانية متفاوتة يكشف عن واقع مرير يعانيه صاحب هذه القضية. وإلا فلو علم بقبول قضيته فلا معنى لأن يؤكد ذلك في مختلف المناسبات.

لذا فإنا نستشعر أن النبي ﷺ كان يرى ببصيرته الثاقبة وحكمته المشهود بها أن هناك حياكة منظمة تحاول صرف الأمر عما وضعه الله عز وجل بشكل أو بآخر، بل وصل الحال إلى أن قال قائل ـ في حياته ـ : إنما مثل محمد في أهل بيته كمثل النبتة في كناسة. فبلغه ذلك فغضب، وجاء ووقف على القوم وكلمهم، وبدؤوا يعتذرون لما صدر منهم، فعرفهم منزلة أهل بيته عنده وعند الله تعالى.

ومن نفس المنطلق ما كان عليه ﷺ تجاه ابنته الصديقة عليها السلام فإن التنويه المتكرر والاهتمام البالغ بها والثناء عليها في المواطن المتعددة وبالأساليب البيانية المختلفة يكشف عن نظير الحقيقة المشار إليها آنفاً، وكأن المنظر المؤلم الذي يخبئه الزمان ماثل أمام عينيه، فيحاول كشفه في بياناته الرسالية: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني» فإنها رسالة مستقبلية تشير إلى واقع سيقع، وقد حكم عليه ﷺ بالحكم الإلهي الصادر من لسانه الشريف، وكأنه يريد: أنها سوف تؤذى ومن آذاها فقد آذاني.

وهذه قضية طبيعية جداً فإن من يريد إثبات حقيقة يعلم ضياعها فيما بعد أو يرى المؤامرات من حوله والجهود المكثفة لمنعه من ذلك يحاول تأكيدها بشتى الوسائل، بل وبكيفيات مختلفة خصوصاً لمثل الرسالي الذي ليس همه إلا لتقوم الحجة على أكبر قدر ممكن ممن تبلغه هذه الحقيقة ﴿**فللّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾.

ويتجلى ذلك بوضوح حينما نرى ضياع الحقيقة المشار إليها بعد كل ذلك التأكيد منه ﷺ، وتلك الأساليب المختلفة بما فيها واقعة الغدير التي لو لم يكن غيرها يتضمن نصاً صريحاً على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لكانت كافية بشكل صريح وواضح لا يقبل أي شك أو ريب، حتى بأسلوبها الذي يعتمده الناس في التنصيب، سواء الحكام منهم، أم القضاة، أم الولاة، أم رؤساء العشائر، أم غيرهم، ومع هذا كله أصبحت بعد ذلك وبعدة أشهر مُعرضاً عنها بشكل فضيع، حتى وصلت إلى الأجيال المتعاقبة وكأنها حقيقة غير واضحة، بل كأنها من موروث التاريخ الذي يقبل الشك والتزوير، والوجوه المختلفة في التفسير.

من هنا يعلم أن جمع ذلك الجمع الغفير في تلك الرمضاء الهجير ليس عبثاً، بل من أجل التأكيد على الحقيقة المؤكدة المبينة الواضحة لولا كثرة المناوئين لها والدافعين عنها.. فإنا لله وإنا إليه راجعون ■

المشرف العام

التصوير القرآني للعقبات النفسية

« عُقد المنافقين أنموذجاً »

• أ. م. د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

تتمثل العقبات أو العقد النفسية بالتصرفات السلوكية المرضية، وهي حبكات مستعصية داخل النفس، وقد شخصها القران الكريم مصوراً أحوالها الانفعالية كاشفاً عن أنماطها الشخصية بأمارات التفوق البياني والامتياز الأسلوبي وبالتحليل الدقيق؛ الذي لا يدع زاوية من زواياها الغامضة إلا وقد وضحها، لأنه صورها بمنظوره الشمولي، فالنفس وساحتها مخلوقة بيد منزّل القران فهو أدرى بها من غيره وعندما يصفها يشخص الحالة المرضية بدقة وبيان تامّين.

لقد تحققت هذه العقد عند المنافقين وعند نوع خاص منها هو نفاق العقيدة الذي يظهر فيه الإنسان الإيمان ويبطن الكفر، لأن حقيقة الإيمان أن يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شيء واعتقد خلافه فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه القرآن كذباً لأن قولهم خالف اعتقادهم... من هنا فقد حاربهم الإسلام في كثير من سور القران مبيناً صفاتهم وعاقبتهم مشدّداً النكير عليهم كما في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ)[1].

كما أفرد لهم سورة خاصة بهم

سميت بسورة المنافقين.

والعقد النفسية تكون نتيجة جنوح غرائز حفظ الذات الطبيعية بالإنسان جنوحاً مرضياً إذا تخلى عن فهم تعاليم السماء التي تنتظمها وتجعلها سوية... وتنغص هذه العقد على الإنسان حياته وتمنعه من تحقيق سعادته، وسميت أيضاً بالعقبات النفسية أو (بالطاغوت) أو (بالشهوات) أو (بالأهواء) أو (بالأرباب) استناداً إلى ما رمزت إليه آيات الكتاب الكريم أو ما أشارت إليها بصورة جامعة... من هنا درجت العادة على تسمية علماء النفس مصادر ومسببات الانفعالات الشعورية والتصرفات السلوكية المرضية بالعقد النفسية، وقد استنبطت الأسماء الأخر من خلال النص القرآني، فقد قال تعالى: (فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ❖ فَكُّ رَقَبَةٍ ❖ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ❖ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ❖ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ❖ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)[٢]، والعقبة هنا تعني العقدة النفسية، والإشارة واضحة إلى عقبة الشح أي البخل، وقال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[٣].

وهنا الشهوات تعني العقد النفسية أيضاً وذلك عندما تجنح الشهوة بالإنسان نحو المغالاة، والإشارة واضحة إلى العقد الجنسية وعقد الشح والسلطة وحب التملك... قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)[٤]. والإشارة إجمالية إلى كل العقد، وقال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ❖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[٥]، والواضح أنَّ كلمة (هوى) هنا تعني عقداً نفسية، وقال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)[٦]. والأرباب تعني: عقداً نفسية، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغُوت)[٧]، والطاغوت كل شيء يجعل من النفس سيداً على العقل... إذن فالعقد النفسية ما هي إلا طغيان الأهواء والمخاوف النفسية على العقل وسيطرتها عليه، وقبل الدخول في معالم الشخصية التي هي - مجموعة المميزات السلوكية والتصرفات والإحساسات الشعورية واللاشعورية والأفكار والتصورات العقلية أو هي الفكرة الكلية غير الثابتة أو المستقرة التي يكونها كل إنسان عن ذاته وذات الآخرين- أو الشخصية المنافقة: نجد في القران الكريم والسنة الشريفة تفصيل كل شيء ولاسيما عن المنافقين وما أدته هذه العقد من أمراض نفسية وعقلية عندهم، من ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[٨].

والمقصود بهذه الآية عبد الله بن أبي، ومغيث بن قيس، وجدّ بن قيس كانت لهم أجسام ومنظر تعجبك أجسامهم لحسنها وجمالها. وكان عبد الله بن أبي فصيحاً صبيحاً، وإذا قال سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله أي ويقولون أنك لرسول الله تسمع لقولهم، وقد شبههم بالخشب المسندة، والخشب لا تعقل ولا تفهم فكذلك أهل النفاق كأنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب، ثم نسبهم إلى الجبن

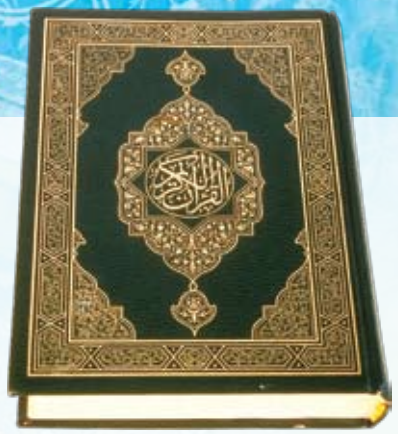

وعابهم لما في قلوبهم من الرعب والوجل على طول الخط، وقد اعلم الله سبحانه رسوله بأنهم الكاملون في العداوة بالنسبة إلى غيرهم وقد دعا عليهم باللعنة والخزي وطردهم من رحمته... وعن رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال -على ما رواه الترمذي: (آيةُ المُنافِقِ ثَلاث: إذا حَدّث كَذب، وإذا وَعد أخْلف، وإذا أُوتمن خَان)... وفي رواية أخرى: (وإذا خَاصم فَجر) ويدل هذا الحديث الشريف على أن المنافقين هم الكاذبون فهم يضمرون غير ما يظهرون وان قولهم يخالف اعتقادهم وفعلهم لأن حقيقة الإيمان بالقلب فإن من أخبر عن شيء أو اعتقد أو عمل بخلافه فهو كاذب لأن الكذب إنما هو باعتبار المخالفة بين الوجودين الذهني والخارجي[٩].

وسنقف عند هذه الشخصية المريضة التي درسها علماء النفس حديثاً تحت أسماء: عصاب الشخصية، والشخصية غير المتزنة، والشخصية اللاأخلاقية، ويسميها الدكتور الشريف

(بالشخصية المنافقة) التي وصفها القران الكريم أشمل الوصف إذ كشف خبايا ميزاتها في العشرات من الآيات الكريمة مفصلاً كل سمة من سماتها المرضية، وهذه الشخصية المريضة أو المنافقة هي ذات الوجهين فهي كاذبة تتستر وراء الدين والتقى لتصل إلى مآربها الخسيسة، قال الله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)[10]. أي يخادعون الله، والخديعة: الحيلة والمكر وأصله في اللغة الإخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة المنافق، وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة، وإنّ وبال ذلك الخداع راجع إليهم لأن الله سبحانه يطلع نبيه على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى...

وهي الشخصية المكابرة المغرورة المتعالية التي يئست من رحمة الله، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)[11]. فهم إذا طلب منهم أن يتقدموا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليطلب الغفران لهم على ما اقترفوا من الذنوب وقد انكشف أمرهم لوّوا رؤوسهم أي عطفوا رؤوسهم واعترضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ورأيتهم يعرضون عما دعوا إليه متكبرين على استغفار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم.

-وهي الشخصية المفسدة التي تعيث في الأرض فساداً وعلى الرغم من ذلك فهي لا تشعر بإفسادها بل تحسب نفسها مصلحة، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ❖ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَ يَشْعُرُونَ)[12].

فإذا قال المؤمنون للمنافقين - وقيل لليهود - لا تفسدوا في الأرض بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والقرآن، وقيل معناه: لا تكفروا والكفر أشد فساداً في الدين يقولون: هذا القول كذباً كقولهم آمنا وهم كاذبون، وألا للتنبيه وينبه بها المخاطب أنهم هم المفسدون أنفسهم بالكفر ولا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطال الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

وهي الشخصية المشككة المرتابة بكل شي بالله والناس، قال تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)[١٣]، وقال تعالى: (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا)[١٤]، والمرض هنا الشك والنفاق وأصل المرض للضعف وقد سمي الشك في الدنيا مرضاً لأنه يضعف الدين كما يضعف المرض البدن، وقد زادهم الله سبحانه وتعالى مرضاً لأن الآيات كانت تتنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً لنزول أخرى[١٥].

وقد صور القران حال المنافقين وما هم فيه من حيرة واضطراب وتخبط فقال سبحانه وتعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ❖ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ ❖ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ❖ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ❖ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ)[١٦].

ساقت هذه الآيات تشبيهين الأول: صورهم في حال من جد في طلب النار ليتبين بها موضع قدمه فلما حصل عليها انطفأت وبقي كما كان قبلها في ظلمته وضلالته، إن المنافق وما في دواخله من قلق وحيرة واضطراب، صار مرئياً في هذه الصورة، صورة هذا الكائن في ليل بهيم شديد الظلمة لا يدري

ما يحيط بـه ولا يأمن أن يكون قد كمنت حوله أهـوال ماحقة، أو أن يضـع قدمـه في مهـوى الضيـاع ثم اجتهد فـي أن يحصل على ما يضيء لـه ما حوله فلما أضاءت ذهبت النار وعـاد إلـى حالته الأولى مـن الحيرة والضياع...

أما التشـبيه التمثيلـي الثاني فقد صورهم فـي صورة مـن أحاط بهم صيـب من السـماء فيه مـن تكاثفه ظلمـات تحجـب رؤية العيـن ثم فيه رعد وبـرق يبعثـان الهـول ويثيران المخـاوف حتى يـكاد القوم يرون المـوت بأعينهم ويسـمعون دمدمته المصعقـة وحسيسـه المرعـب فيجعلـون أصابعهم فـي آذانهم حتى يبعدوا عن أسماعهم هذا الهول الذي لا يطاق، ومع هـذا البرق الذي يراه الإنسان ويستطيع أن يحدق فيه، قد كانوا ينتهزون فرصة لمعه ليخطوا خطوة من محيط الرعب الجاثم على أرواحهـم، هذا القلـق المفزع الذي تراه ماثـلاً في هـذه الجماعة يريك دواخـل المنافقيـن وتمـزق قلوبهم وتوزع خواطرهم[١٧].

يقـول الزمخشـري فـي تعليقـه علـى هذيـن التمثيليـن اللذيـن أوردتهما الآيات الشـريفة (فإن قلت أي التمثيليـن أبلـغ؟ قلـت: الثانـي لأنـه أدلّ على فـرط الحيرة وشـدة الأمر، وفظاعتـه، ولذلك أُخّر وهم يتدرجـون في نحو هـذا من الأهون إلى الأغلظ...)[١٨].

وخلاصـة مـا تقـدم: إن عقـد المنافقيـن هي حبكات مسـتعصية داخل نفوسهم تتجلى في تصرفاتهم السـلوكية المرضيـة وصفاتهـم الذميمـة المبطنـة التـي يكـون أظهرهـا الكـذب إذ يختلـف فيهـا السر والعلانية ويتباين عندها القول والعمل وقد فضحهم القران مصوراً مواقف اسـتبطان نفوسهم المريضة واسـتبيان دواخلهـم البعيـدة فعندما تهتز هذه الحبكات بالقرآن العظيم سـاكاً لأسـماعها تأخذهـا العـزة بالإثم فتنطوي على نفاقها أكثر ولا تشرح صدرها للإسلام متخذة جانب الدفاع الطاغوتـي بدلا من الانصياع الإيماني والانشراح الصدري ■

(١) سورة النساء الآية:١٤٥.
(٢) سورة البلد الآيات: ١١-١٧.
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤.
(٤) سورة الجاثية الآية: ٢٣.
(٥) سورة النازعات الآيتان ٤٠-٤١.
(٦) سورة التوبة الآية: ٣١.
(٧) سورة النساء الآية: ٧٦.
(٨) سورة المنافقون الآية: ٤.
(٩) ينظر: التفسير الكبير ١٢/٣٠-١٥، ومن علم النفس القرانيص٩٠، ٨٩-٩٢.
(١٠) سورة البقرة الآية:٩.
(١١) سورة المنافقون الآية:٥.
(١٢) سورة البقرة الآيتان: ١١-١٢.
(١٣) سورة البقرة الآية: ١٠.
(١٤) سورة الأحزاب الآية: ١٢.
(١٥) ينظـر معالـم التنزيل للبغوي بحاشـية تفسـير الخازن ٣٣/١، ومن علم النفس القرآني ص١١٥، ١٠٧-١١٦.
(١٦) سورة البقرة الآيات: ١٦-٢٠.
(١٧) التصوير البياني ص٩٢-٩٣، ٩٥-٩٨.
(١٨) تفسير الكشاف ٨٨/١.

من أساليب النص القرآني

العدول الأسلوبي في الكلام

• د. زهير غازي زاهد

ينابيع وهو ما سماه البلاغيون (الالتفات) وسماه بعضهم التصرف أو الصريف. قال ابن المعتز في تعريفه: (الالتفات انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما أشبه ذلك من الالتفات عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر)[1].

كانت هذه الظاهرة الأسلوبية مما ألفه العرب في كلامهم وشعرهم. نجدها في القصيدة الجاهلية بتعدد أغراضها والتنقل من غرض إلى غرض وكذا في أساليب الكتابة بالتنقل من غرض إلى آخر ثم العودة، ونجدها أيضاً في النص القرآني تتمثل في ثلاثة محاور:

أولها: المحور الشخصي في التكلم والخطاب والغيبة.

ثانيهما: المحور العددي في الإفراد والتثنية والجمع.

ثالثها: المحور الزمني وصيغ الفعل في المضي والحال أو الاستقبال وصيغة الأمر.

وقد اتفق أهل التفسير وأهل المعاني من البلاغيين وعلماء النقد على أن هذا العدول الأسلوبي (يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً لإصغائه إليه) كما قال الزمخشري.

وذهب السكاكي قائلاً: (ويسمى النقل التفاتاً عند علماء المعاني والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه)[٣].

أما ابن الأثير فقد نظر إلى جانبين: مقام الكلام وطاقة مبدعه، إذ قال: (واعلم أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي أطلع على أسرارها)[٣].

إن هذه الظاهرة الأسلوبية في الأدب العربي وفي النص القرآني قد تتصل بنظرية النظم أوسع مما نظر إليه أهل المعاني وما ذكروه واشترطوا له أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه[٤] إنما قد يكون الالتفات اجتماعياً لا يتمثل في تغيير الشخص من مخاطب إلى غائب بل أنه يبقي ضمير الخطاب على حاله وتتغير ذات المخاطب، كما في قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم...)[٥]. إذ خاطب الله تعالى بني إسرائيل طلب منهم أن يتذكروا نعمته ونجاتهم من آل فرعون وفرق البحر بهم ومواعدة موسى... ويظل الضمير المخاطب كما هو لكن الخطاب يلتفت للمسلمين بعد ذلك إذ قال تعالى: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)[٦]. وقد سمى (تمّام حسّان) هذا بالالتفات الاجتماعي[٧] غير أن الغالب على هذا العدول الأسلوبي ما ذكرته من محاور وسأذكر أمثلة لكل منها:

أ ـ المحور الشخصي:

تغيير صورة الضمير بالانتقال من التكلم إلى الخطاب. والانتقال من التكلم إلى الخطاب فيه عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى: (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)[٨] فيها التفات من التكلم (مالي لا أعبد) إلى الخطاب (وإليه ترجعون) فقد (أخرج الكلام من معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما

يريد لنفسه ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله...)[٩].

وكذا في قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...)[١٠] بدأ بضمير المتكلم (إنا) ثم التفت قائلاً: (ليغفر) ولم يقل: لنغفر لك، وظل نظم الآية مع الانتقال متماسكاً، لأن المغفرة والفتح لا يأتي إلا من عنده تعالى وجاء بعد ذلك (وينصرك الله نصراً عزيزا) فالإسناد أكد تضمن المعنى السابق، فالمعاني متلازمة كتماسك العبارات في نظمها.

وقد يكون الانتقال من التكلم إلى الغيبة كقوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر)[١١] وسياق العطف: فصل لنا، لكنه التفت قائلاً: فصل لربك، فالصلاة لا تكون لغيره بعد ذكر نعمة الكوثر لكن هذا الانتقال أعطى الأسلوب قوة في النظم وانسجاماً في المعنى مع زيادة في الإيضاح وهو غاية الكلام.

وقد يكون من الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[١٢] فسياق أول الآية يقتضي الغيبة ببدئه بكلمة (سبحان) أعقبها بقوله (الذي أسرى بعبده) وهو أقرب إلى البدء من القول: الذي أسرينا وأكثر انسجاماً ما في النظم ثم واصل بعد ذكر المسجد الأقصى

صفحة من مصحف قديم بالخط المغربي

ملتفتاً بقوله: (الذي باركنا حوله) فاقتضى لفظ التعظيم العدول في المباركة وتوالت ضمائر التكلم بعده (لنريه من آياتنا) ثم عدل إلى الغيبة لتلازم المعنى ووضوح عود الكناية (إنه هو السميع البصير) هذا التصرف الأسلوبي جعل من نص الآية تعبيراً باهراً متماسكاً بنظم ألفاظه ومعانيه. والآيات التي فيها هذا النوع من العدول مثل (آية ٥٣ ، سورة طه) و(آية ٦٣ ، سورة الحج) و(آية ١٢ ، سورة فصلت) و(آية ٢٧ ، سورة فاطر) العدول من الغيبة إلى التكلم فيها تنبيه على التخصيص بالقدرة وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد كما يقول الزمخشري.

وقد يكون العدول من الغيبة إلى الخطاب قصد تعظيم شأن المخاطب كما في قوله تعالى في سورة الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين...) لقد جاء الخطاب بـ(إياك) بعد قوله (الحمد لله) ولم يقل: (الحمد لك) وتعليل هذا الانتقال تعظيم شأنه تعالى، وكذا الانتقال في آخر السورة من الخطاب إلى الغيبة (صراط الذين أنعمت عليهم...) للعلة نفسها وهي تعظيم شأن المخاطب، لأن مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه أيضاً[١٣].

وقد يكون العدول من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: (وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ودعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)[١٤] لقد كان الانتقال في الآية من الخطاب (كنتم في الفلك) إلى الغيبة بقوله (جرين بهم) واستمر ضمير الغيبة يتكرر في بقية الآية وكذا في الآية بعدها (فلما أنجاهم إذ هم يبغون بغير الحق) فكأن الخطاب كان للجميع مؤمنهم وكافرهم فعدل إلى الغيبة إرادة التخصيص عند طلبهم من الله النجاة ليكونوا من الشاكرين فلما أنجاهم بغوا بغير الحق عاد إلى الخطاب (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم...) فالتصرف في استعمال الضمير والعدول به من حال إلى آخر يمثل قوة في الأداء للتعبير عن مختلف حالات المخاطبين.

ب ـ المحور العددي:

وهو الانتقال من خطاب الواحد والاثنين إلى الجمع.

هذا أيضاً مما يشد النفس سماعه ويدخل مع التفنن به في روع السامع آثاراً ومشاعر، وقد تثير أفكاراً ودلالات في التفسير. وقد قسم الزركشي هذا النوع إلى ستة أقسام[١٥] نذكر منها الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين كقوله تعالى: (قالوا أجئتنا لتلفتنا

عمـا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبريـاء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين)[١٦] ومـن خطاب الواحد إلى خطاب الجمع قوله: (يـا أيها النبي إذا طلقتم النساء...)[١٧] فالخطاب للرسول صلوات الله عليه يخص الجمع باعتباره مبلغـاً، فبدأ بخطاب المفرد ثم التفت إلى الجمع (طلقتم).

ومـن الاثنيـن إلـى الجمـع قولـه: (وأوحينا إلى موسـى وأخيـه أن تبوءا لقومكمـا بمصـر بيوتـاً واجعلـوا بيوتكـم قبلة وأقيموا الصلاة وبشـر المؤمنيـن)[١٨] عـدل فـي هـذه الآيـة مـن الاثنين إلى الجمع ثـم التفت إلى المفرد (وبشر المؤمنين) فلكل حال مقامهـا ولـكل مقام مقـال. فالاثنان موسى وهارون فهما القائدان والجمع للساكنين من قومهما ثم خص موسى بالتبشير باعتباره الرسول.

ومن الاثنين إلى الواحد قوله: (قال فمـن ربكما يا موسـى. قال ربنا الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)[١٩] عندما جاء موسى وهارون إلى فرعون بأمـر الله (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) وجّه فرعون الخطاب إلى موسى وهو يقصدهمـا (فمـن ربكما) ثـم التفت إلى المفرد. وهـي دقة في التركيب وإحكام في النظم.

ج ـ المحور الزمني وصيغ الفعل:

ومنه العدول من الماضي إلى الأمر كقوله تعالى: (قل أمر ربي بالقسـط وأقيموا وجوهكم عند كل مسـجد وادعـوه...)[٢٠] فيه انتقـال من الماضي (أمـر) إلـى صيغـة الأمـر (وأقيموا... وادعوه)، وكذا في قوله: (... وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجـس مـن الأوثـان واجتنبـوا قول الـزور)[٢١] نلاحظ العدول من الماضي (أحلت) إلـى صيغة الأمـر (فاجتنبوه) وكل فـي مقامـه مـن التركيـب فصلت الحديث فيه كتب التفسير.

ومـن المسـتقبل إلـى الأمـر قوله تعالـى: (قالوا يا هـود ما جئتنـا ببينة ومـا نحن بتاركـي آلهتنا عـن قولك ومـا نحن لـك بمؤمنيـن. إن نقول إلا اعتـراك بعض آلهتنا بسـوء قـال إني اشـهد الله واشـهدوا إنـي بـريء مما تشركون)[٢٢].

في هاتين الآيتين تنقل بين الماضي والمسـتقبل ثـم عدول من المسـتقبل (أشـهد) إلى الأمر (واشـهدوا) فهو لم يقل: أشـهد الله وأشهدكم إنما عدل من المسـتقبل إلـى الأمر مـن الزمن الممتـد إلى اللازمن فـي صيغة الأمر للمخاطبين المشـركين وهذا العدول فيه دقة في المعنى وتأويل لطيف أوحى به تركيب العبارة في الآيتين أحسنت البيان فيه كتب التفسير وأوضحته.

ومن الماضي إلى المسـتقبل قوله: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسـجد الحـرام...)[٢٣] وكـذا قوله: (والله الذي أرسـل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشـور)[٢٤] نجـد في هذا التنقل مـن الماضي إلى المسـتقبل في الآية الأولى بياناً لصفة المخبـر عنهم فصفتهـم الكفر الذي

أخبر عنه بالمضي (كفروا) فهو وإن انقطع زمنه لكنه مستمر لديهم لذا فهم يستمرون في الصد عن سبيل الله فهم (يصدون) في كل وقت كما عبر عن ذلك الزركشي[٢٥] وفي الآية الثانية عدول من الماضي (أرسل) إلى الحاضر والمستقبل (تثير) ثم إلى الماضي (فسقناه) و(فأحيينا) وهو تنقل يثير التفكير كما يثير الإعجاب بنظم الآية التي تنتهي بالتشبيه العجيب بما يراه الناس كل حين (كذلك النشور) فهو تنقل بديع ووصف وتشبيه مسكت للمنكر.

ومن المستقبل إلى الماضي في قوله: (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين)[٢٦] وهذه الآية صورة فيها حركة في عدولها من المستقبل إلى الماضي الذي كأنه وقع ثم عودة إلى صيغة تعبر عن الزمن المستمر (وكل أتوه...).

هذا مما يجعلنا نعتقد اعتقاداً جاداً بضرورة إعادة دراسة زمن الفعل في العربية من خلال النص القرآني. ففيه مواضع تحتاج إلى تأمل. وقد أطال المفسرون الكلام فيها. فالماضي من الأفعال ما تحقق وقوعه أو هو بمرتبة ذلك والمستقبل من الأفعال ما لم يتحقق وقوعه أو هو بمرتبة ذلك أما الأمر فهو صيغة طلب تخلو من الزمن والنصوص القرآنية من خلال هذا التفنن الأسلوبي توحي بوجوه من الدلالة والحكمة في نظمها وترتيب تركيبها تتجاوز ما قرره النحويون من أزمنة الفعل فهي متعددة لا كما حددودها، لذلك وردت نصوص من هذه الأساليب أوحت إلى المفسرين معانياً تدور كلها في أفق واحد ولكن قد يختلف التأويل للوصول إلى دائرة المعنى. وهذا الأسلوب جعله الزركشي مما يقرب من الالتفات ■

---

(١) مواد البيان، علي بن خلف، ٢٨٨.
(٢) المفتاح، ٥٠.
(٣) المثل السائر، ١٨٠.
(٤) انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٣١٤/٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٧-٧٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٧٥.
(٧) اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، ص١٢٨.
(٨) سورة يس، الآية: ٢٢.
(٩) الزركشي، ٣١٥/٣.
(١٠) سورة الفتح، الآية: ١، ٢.
(١١) سورة الكوثر، الآية: ١، ٢.
(١٢) سورة الإسراء، الآية: ١.
(١٣) انظر تفصيل ذلك في: برهان الزركشي، ٣٢٦/٣، ٣٢٧، الإتقان للسيوطي، ١٠٩، ١١١، المفتاح، ٩٧.
(١٤) سورة يونس، الآية: ٢٢.
(١٥) البرهان، ٢٣٤/٣.
(١٦) سورة يونس، الآية: ٧٨.
(١٧) سورة الطلاق، الآية: ١.
(١٨) سورة يونس، الآية: ٨٧.
(١٩) سورة طه، الآية: ٤٩-٥٠.
(٢٠) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.
(٢١) سورة الحج، الآية: ٣٠.
(٢٢) سورة هود، الآية: ٥٣-٥٤.
(٢٣) سورة الحج، الآية: ٢٥.
(٢٤) سورة فاطر، الآية: ٩.
(٢٥) الزركشي، ٣٣٦/٣.
(٢٦) سورة النمل، الآية: ٨٧.

الخلافة والاستخلاف في القرآن الكريم

• السيد عبد الستار الجابري
ماجستير علوم إسلامية

ينابيع الخليفة: هو من يخلف غيره ويقوم مقامه وهو الإمام الذي ليس فوقه إمام، وقد صرح القران الكريم في مواضع كثيرة بكون الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض.

ونريد التطرق في هذا البحث إلى ثلاثة أمور:

١ـ جعل الخلافة.

٢ـ مراتب الاستخلاف.

٣ـ خلافة الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

فأما البحث الأول: قال تعالى في كتابه الكريم: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة).

إن قيام شخص مقام شخص في أمر ما يقتضي وجود مشابهة بين الخليفة والمستخلف وإلا تبطل الفائدة من الاستخلاف لأن الخليفة في حال عدم تحليه بصفات المستخلف سوف لن يكون قادراً على النهوض بالمهام التي كان من المفروض أن يؤديها كما أداها الأول.

ولكن هذا المعنى محال في مسألة استخلاف الله تعالى لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو الواجب بالذات والحائز على كل الكمالات على نحو الوجوب وهو الغني الذي لا يفتقر إلى شيء وكل شيء مفتقر إليه، فكيف يمكن وجود خليفة له مع أن ليس له مثيل؟ وكيف نجمع بين إخباره تعالى عن جعل الخليفة وبين استحالة المشابهة

والمثيل؟

والجواب على ذلك:

إن الذات القدسية الأحدية لا حد لها ولا رسم ولا توصف بشيء كما يوصف الممكنات فالذات القدسية محض البساطة، وما أثبت للذات الأحدية من صفات فهي عين الذات غير خارجة عنها، وكل ما في الوجود الامكاني إنما هو تجلي للأسماء الإلهية الحسنى وكل موجود إمكاني هو مظهر من مظاهر أسم من الأسماء الحسنى، وأقرب الممكنات إليه تعالى أعلاهن رتبة وأعلى المخلوقات رتبة ما جمعت فيه تجليات صفات الجمال والجلال.

فالمخلوق الذي يكون مظهراً لأسماء الجمال والجلال معاً هو الأكرم على الله من بين مخلوقاته، ومن ظهرت فيه هذه الأسماء بأتم تجلياتها هو أفضل هذا الصنف من المخلوقات إلى الله تعالى.

وهذا المخلوق الذي كان مظهراً لأسماء الجلال والجمال معاً هو الإنسان وأفضل أفراد الإنسان هو الإنسان الكامل الذي تجلت الاسماء الإلهية فيه بأتم تجلياتها، فالإنسان هو الخليفة والإنسان الكامل هو الخليفة الإلهي الكامل هو الخليفة الإلهي الأعظم.

فيقول صدر المتألهين قدس سره في تفسير الآية الشريفة آنفة الذكر: (والخليفة من يخلف غيره وينوب عنه لأجل مناسبة تامة يستحق بها الخلافة لا يوجد في غيره، وإلا لكان وضعاً للشيء في غير موضعه، والهاء فيه للمبالغة).

ويقول قدس سره في بيان استحقاق

آمن الرسول

آدم عليه السلام للخلافة الإلهية دون غيره من المخلوقات: (وقد تحيرت العقول في أن استحقاقية آدم للخلافة الإلهية بماذا فقيل لتحمله التكليف، وقيل: لطاعته مع وجود الصوارف البدنية كالشهوة والغضب عنها، وقيل: لجامعيته بين صفات الملائكة وصفات البهائم، وأسَدّ الأقوال كونه جامعاً لجميع المظاهر الاسمائية).

فنحن لو نظرنا إلى المخلوقات العاقلة التي يتوقع منها أن تتحمل الأمانة الإلهية بل لو نظرنا إلى جميع المخلوقات العاقلة وغيرها نجد أنها معترفة بعجزها عن حمل الأمانة الإلهية لأنها لا تمتلك مقومات حمل تلك الأمانة فلا السموات ولا الأرض ولا الجبال ولا الملائكة ولا الجن قادرة على تحمل الأمانة الإلهية فما عدا الملائكة والجن والأنس خلق مجبول على الطاعة وأما الملائكة فهم قد تجلت فيهم أسماء الجمال فذابوا في الحق فهم مشغولون بعبادته لا يمكنهم الانفكاك عنها لما جبلوا عليه من النظر في جمال الحق تبارك وتعالى.

وأما الجن فهم مظهر أسماء الجلال فترى فيهم التمرد والمعصية وهذا إبليس لم يستطع صبراً على الطاعة فعصى ربه لما أمره أن يسجد لآدم عليه السلام، وأما الإنسان فهو مظهر الأسماء الجمالية والجلالية وبهذه المظهرية استحق الخلافة عن الله تعالى.

في الآية الشريفة موضع يحسن الالتفات إليه وهو قوله تعالى (جاعل) وجاعل أسم فاعل وأسم الفاعل لا يطلق حقيقة إلا على المتلبس بالصفة فمثلاً من كان جالساً لا يقال له قائم سواء أكان قائماً سابقاً أم أنه سيقوم في المستقبل نعم يطلق عليه ذلك مجازاً بلحاظ الحالة السابقة أو ما سيؤول إليه. أما إطلاق اللفظة حقيقة فهي لا تكون إلا للمتلبس وهذه الجاعلية في الآية تقتضي التلبس في الجعل ولما كان الله تعالى دائماً لا يعروه الزوال فلا بد أن تكون هذه الجاعلية مستمرة وغير منتهية لأنه تعالى قال: (إني جاعل) ولم يقل جعلت وبهذا يتضح استمرار خلافة في الأرض ما دامت الأرض موجودة. ودليل ذلك أنه تعالى في الخلافة المحدودة لا يقول: (جاعل)، بل يقول: (جعلت) كما في قوله تعالى: (يا داوُد إنا جعلناك خليفة في الأرض) ولا يعترض بجعل الإمامة لإبراهيم عليه السلام فإنها وردت بلفظ جاعل لأن المجعول حقيقة هو الإمامة وأول مصاديقها هو إبراهيم عليه السلام كما أن المجعول هنا الخلافة وأول مصاديقها آدم عليه السلام، لذلك سأل إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته ولو كانت مختصة به لما كان هناك وجه لأن يسألها لذريته.

يقول العلامة حسن زاده آملي (دام ظله): (في هذه الآية الكريمة (أي: جاعل في الأرض خليفة) وبلحاظ تعدد الأسماء الإلهية واتصاف الخليفة بصفات المستخلف عنه، يتم وجوب استمرار وجود الإنسان الكامل الموجودة دائماً في أفراد نوع الإنسان وهو الفرد الأكمل من جميع أفراد الكائنات في جميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية حتى يكون ممثلاً لحضرة الإله تعالى...).

ما هي الحاجة إلى الخليفة؟

سؤال يطرح نفسه أفلا يمكن لله تعالى أن لا يكون له خليفة، والجواب على ذلك، أن الحاجة إلى الخليفة ليست ناشئة من عجز ونقص في الذات الأحدية القدسية، لأن الله تبارك وتعالى كمال محض لا يشوبه نقص إطلاقاً، وأما الحاجة فهي من جهة الممكنات ذلك لأن تعدد المخلوقات وتعنونها وتفاوتها في الدرجات لا يمكنها من نيل الفيض الإلهي لا لنقص في الفيض لأن الفيض تام بل لنقص في القابل والخليفة الإلهي هو الذي يوصل لكل ممكن ما يحتاجه من الفيض، يقول صدر المتألهين قدس سره في هذا الموضوع: (أعلم أنه لما اقتضى حكم السلطنة الواجبة للذات الأزلية والصفات العلية ببسط مملكة الإلوهية، ونشر لواء الربوبية بإظهار الخلائق وتحقيق الحقائق، وتسخير الأشياء، وإمضاء الأمور، وتدبير الممالك وإمداد الدهور، وحفظ مراتب الوجود ورفع مناصب الشهود، وكان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيداً جداً ـ لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث ـ حكم الحكيم سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في التصرف والولاية، والحفظ والرعاية. وله وجه إلى القدم يستمد به من الحق سبحانه، ووجه إلى الحدوث يمد به الخلق، فجعل على صورة خليفة يخلف عنه في التصرف، وخلع عليه جميع أسمائه وصفاته ومكنه في مسند الخلافة بإلقاء مقادير الأمور إليه وإحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته، أو تسخير الخلائق لحكمه وجبروته وسماه إنساناً لإمكان وقوع الأنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسية، وواسطة الإنسية، وجعل له بحكم اسمه (الظاهر الباطن) حقيقة باطنه وصورة ظاهرة ليتمكن بها من التصرف في الملك والملكوت.

فحقيقته الباطنة هي الروح الأعظم ـ وهو الأمر الذي يستحق به الإنسان الخلافة والنفس الكلية وزيره وترجمانه والطبيعة الكلية عامله ورئيسه، والعملة من القوى الطبيعية وكذلك إلى آخر الروحانيات ـ جنوده وخدمه، وأما صورته الظاهرة فصورة العالم من العرش إلى الفرش وما بينهما من البسائط والمركبات). وهنا إشارة لطيفة لصدر المتألهين قدس سره حيث بيّن استحقاق الخلافة، إنما هو بالحقيقة الباطنة وهي الروح الأعظم وقد تقدم في مبحث العصمة أن النبي صلى الله عليه وآله هو الوحيد الذي أيده الله بالروح الأعظم فيثبت بذلك أن الخليفة الحقيقي الأعظم هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله والى هذا أشار صدر المتألهين قدس سره بقوله: (وأما خليفته في العالم كله فهو محمد صلى الله عليه وآله عند بلوغه المقام المحمود).

وخلافته هذه هي الحقة الحقيقية الملكوتية، وله خلافة أخرى في عالم الملك بعد وجوده الناسوتي في هذه الحياة الدنيا. فللرسول صلى الله عليه وآله خلافة عامة مطلقة بحسب حقيقته النورية التي استحق بها ان يكون أول صادر وواسطة الفيض، وخلافة بحسب نشأته الدنيوية ووجوده

آمن الرسول

الناسوي وهي خلافة النبوة والإمامة التي يشترك فيها مع بقية الأنبياء عليهم السلام وفاقهم أنه حاز من النبوة والإمامة أعلى مراتبها والى هذه الحقيقة يشير صدر المتألهين قدس سره بقوله: (وأعلم أن لله خلفاء في كل عالم ونشأة، ولخلفائه أيضاً خلفاء وبهذا جرت سنته ـ لا لحاجة له إلى من ينوبه في فعله لتعاليه عن القصور في فعله، لكونه تمام كل حقيقة، وكمال كل وجود، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره من لدنه بغير واسطة ولذلك لم يستنبئ ملكاً من الملائكة العالين في الأرض كما قال (ولو جعلنا ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليه ما يلبسون) والأئمة عليهم السلام في الخلافة الكلية يشتركون مع النبي صلى الله عليه وآله لوحدة حقيقتهم النورية، وهم خلفاؤه في خلافته الدنيوية.

الأمر الثاني: مراتب الاستخلاف متفاوتة فكل إنسان هو خليفة الله عز وجل فيما سلطه الله تعالى عليه وأباح له التصرف فيه وأذن له بإذنه التكويني، وهذه الإنسان ان أطاع الله تعالى فيما استخلفه فيه كان مصداقاً من مصاديق الخلفاء الذين رضي الله عنهم وان خالف الله تعالى فيما أمره وتجاوز على حرمة المولى كان تصرفه ظلماً قبيحاً يستحق عليه العقوبة والطرد من ساحة الرحمة الإلهية.

ومراتب الاستخلاف متفاوتة وكل مرتبة من مراتب الاستخلاف محكومة للمرتبة التي هي أعلى منها حتى تصل إلى أعلى مراتب الاستخلاف وهذا ما أشار إليه الكتاب العزيز في قوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

فالنبوة هي أعلى مراتب الاستخلاف في عالم الملك والنبي هو أعظم الخلفاء في عصره ونبينا محمد صلى الله عليه وآله هو أفضل الأنبياء وسيدهم وخاتمهم فله أعلى مرتبة من مراتب الخلافة في الدار الدنيا.

والى المراتب الأخرى من الاستخلاف أشار الكتاب العزيز بقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون). وقوله تعالى: (وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين). وقوله تعالى: (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون).

الأمر الثالث: خلافة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

اتضح مما تقدم استمرار الخلافة الإلهية بدوام العالم الامكاني بجميع نشأته، وان الخليفة الإلهي في الدار الدنيا هم الأنبياء عليهم السلام وأوصياؤهم وان أول خليفة بشري على وجه الأرض سيدنا آدم عليه السلام وستستمر الخلافة الإلهية إلى أن تقوم الساعة.

واتضح أيضاً أن الخليفة العام وفي كل النشآت هو الحقيقة النورية لنبينا محمدﷺ المظهر الاتم لتجليات أسماء الجلال والجمال.

وكما أن مراتب الاستخلاف متفاوتة فكذلك مراتب الخلفاء متفاوتة وهذا ما بينه الكتاب العزيز بقوله: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس..).

يقول صدر المتألهين قدس سره: (...ألا ترى أن الأنبياء (سلام الله عليهم) لما قويت قواهم وفاقت عقولهم وخمدت نار هواهم تحت نور هداهم، واشتعلت قريحتهم الوقادة بنور الهداية بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة ثم من كان منهم أعلى رتبة، كلّمه ربه بلا واسطة، كما كلم موسىعليه السلام في الميقات ومحمداًﷺ ليلة المعراج.

ومما يؤيد ما ذكرنا ما أخبر عنهﷺ في تفاوت درجات أخذه العلوم عن الله بحسب أحواله المتفاوتة وترقياته في مراتب العقول المفارقة بعد تجاوز المقامات الملكية ونفوسها العلية، فكان يخبر أحياناً أنه يأخذ عن جبرائيلعليه السلام، وان جبرائيل يأخذ عن ميكائيل وهو عن إسرافيل، وإسرافيل يأخذ عن الله، ويخبر أحياناً عن ميكائيل دون واسطة جبرائيل، وأخبره أنه كان يلقي إليه أحياناً إسرافيل، فيأخذ دون واسطة الملكينعليهما السلام. وأخذ أحياناً عن الله من غير واسطة الملائكة وليس وراء الله مرمى...).

والى مقام الخلافة يشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في كلام له مع كميل بن زيادرضي الله عنه حيث قال: (اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة أما ظاهراً مشهوراً وأما خائفاً (حافياً) مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك؟ ـ والله ـ الأقلون عدداً، والأعظمون عند لله قدراً يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه...).

قال الإمام الجوادعليه السلام: (يا ابن أبي يعفور إن الله واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر فنحن هم يا ابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عباده وخزانه على علمه والقائمون بذلك).

وعن الجعفري قال: (سمعت أبا الحسن الرضاعليه السلام يقول: الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه) ■

مرقد ميـثم التمـــار

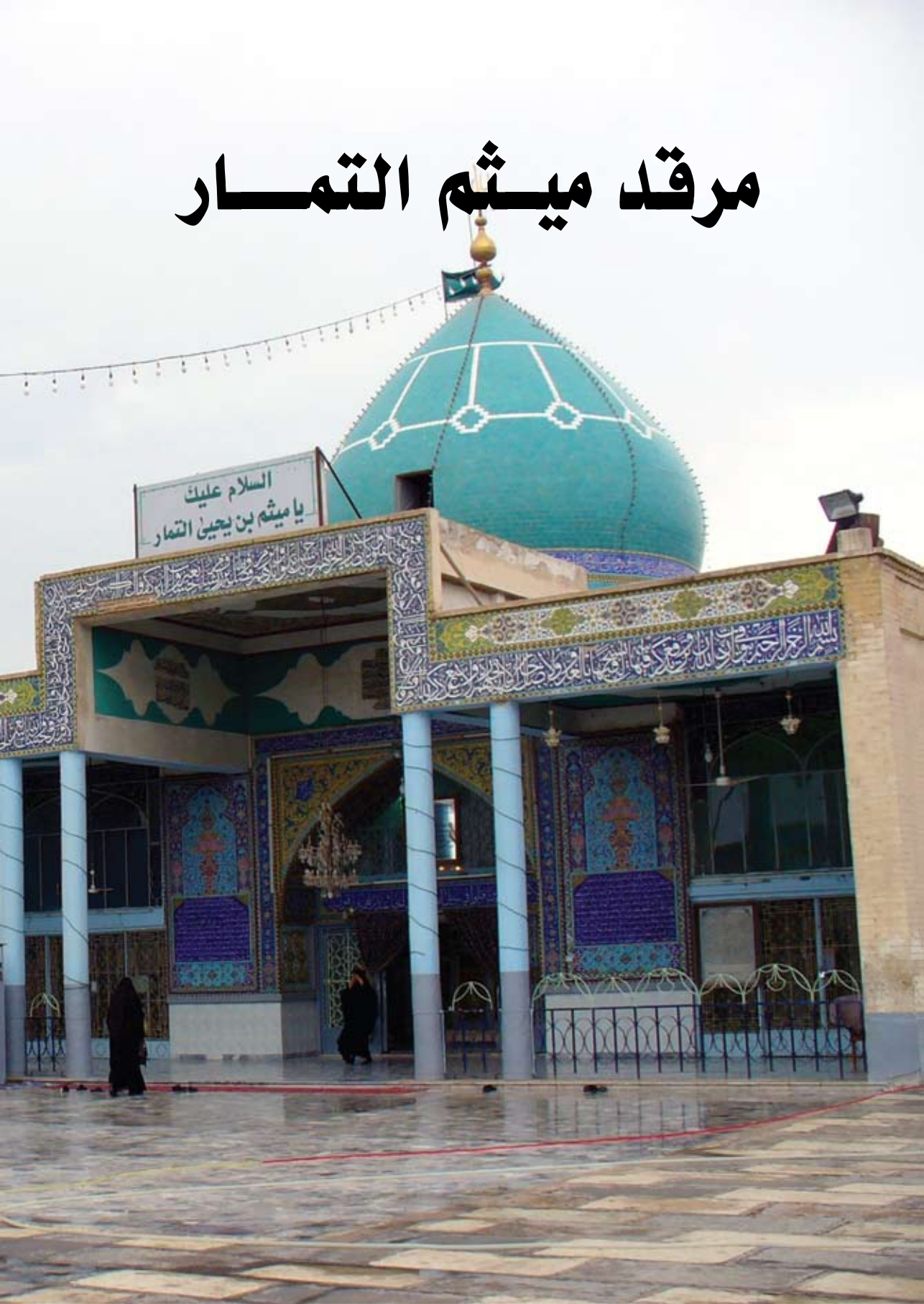

أثر خالد.. لنموذج الصفوة العلوية

- استطلاع: حيدر الـــجد
- تصـــوير: أميـــر رحيـــم

استطلاع المجلة

قال الإمام الباقر لشعيب بن ميثم التمار:
«إني أحبك وأحب أباك حباً شديداً»

ينابيع إنثال المسلمون على علي بن أبي طالب عليه السلام يبايعون خليفة لرسول اللهﷺ بيعة بعد تلك البيعة الحاشدة التي شهدها (غدير خم) يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة (١٠ هـ) والتي أنكرها قوم، وتنكّر لها آخرون حقداً وحسداً، وهاهم يعودون لعليعليه السلام من جديد بعد أن جرّبوا غيره وكانت نتائج تجاربهم كلها تدل على فشل ذريع في الاختيار.

وعلى أية حال فقد قبل الإمام عليعليه السلام الخلافة على مضض، ولكنهعليه السلام آلى على نفسه انتخاب صفوة من الصحابة والشخصيات المؤمنة، تتوفر فيهم صفات لا توجد في غيرهم، استعداداً لتهيئتهم وزجهم في المجتمع الإسلامي، كي يضطلعوا بدور مهم في حياته وبعد وفاته، دور طالما أخذ من فكرهعليه السلام، حيزاً كبيراً، فكان له ما أراد، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أوفياء مخلصون يبذلون النفس والمال والأبناء لأجل ترسيخ دعائم الإسلام، والحفاظ على ديمومته وبقائه، فكانت ضريبة الدم تنتظرهم وهم يسيرون في درب التضحية، ذلك الدرب الذي زرعته لهم دعوتهم للحق لإحياء دين الله تعالى.

وكان من بين هؤلاء ميثم بن يحيى، الملقب بالتمار، صاحب المنزلة الرفيعة المقترنة بالشهادة، خليل الوصي وأحد حوارييه ومستودع علمه، الذي زرنا مرقده المطهر ووقفنا عليه نستذكر تلك الشجرة التي صُلب عليها ونرى المكان الذي حلَقت منه الروح النقية إلى ربها، سجلنا استطلاع عددنا هناك ولابد لنا من إطلالة على حياته نستعرض خلالها بعض المواقف والأحداث.

ميثم التمار التسمية والظهور وإعلان الإسلام:

أبو سالم (أبو جعفر) ميثم بن يحيى التمار ،لُقّب بالتمار لأنه كان يبيع التمر في حانوت له بالكوفة وقيل كان يبيع البطيخ ولكنه اشتهر بالتمار وصار ملاصقاً له بحيث لابد لمن يقول ميثم أن يردفها بالتمار حتى ينصرف ذهن السامع إلى شخصيته.

ظهر ميثم في الكوفة بعد أن نزلها أمير المؤمنين عليعليه السلام سنة (٣٦هـ) أي أن ميثماً لم يكن قبل ذاك في المدينة،أو كان موجوداً في الكوفة لكنه رجل مغمور، وتشير الرواية إلى ما نصه (كان ميثم التمار عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه عليعليه السلام منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك؟ قال: سالم، قالعليه السلام: أخبرني رسول اللهﷺ أن اسمك الذي سمال به أبواك في العجم (ميثم)، قال: صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين، والله إنه لأسمي، قالعليه السلام:

مرقد ميثم التمار

فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول اللهﷺ ودع سالماً، فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم...)[1].

من النص السابق نستفيد عدة أمور يمكنها أن تبين لنا بعض أحواله ويبدو من الكلام أن هذه المحادثة (المحاورة) قد جرت بين الإمام عليعليه السلام وميثم التماررضي الله عنه في أول لقاء جرى بينهما لأن بداية النص تؤكد هذا القول حيث اشتراهعليه السلام، واعتقه وبعد العتق لم يكن هناك فاصل زمني، بل قال له ما اسمك؟

كما نستفيد من النص:

١- كان ميثم عبداً لامرأة أسدية، ولم تحدد لنا الرواية هوية المرأة الأسدية، وكيف علم الإمامعليه السلام بوجوده عبداً عندها.

٢- جواب ميثم للإمامعليه السلام كونه سالماً يبنى على أنه أعطى للإمام اسمه المشهور كعبد مملوك حيث للعبد أكثر من اسم، فأي شخص يشتريه كان بإمكانه تسميته أو إبقاء اسمه على ما كان عليه.

٣- رد الإمامعليه السلام عليه بأن أسمه ميثم لا سالم يؤيد ما ذهب إليه المؤرخون في معرفة الإمامعليه السلام به قبل أن يرد عليه حيث أخبره رسول اللهﷺ باسمه واسم أبيه.

٤- قول الإمامعليه السلام: (اسمك الذي سماك به أبواك في العجم ميثم)، يشير إلى أنه من بلاد فارس وهذا ما أشار له الكشي في رجاله حينما نسبه إلى النهروان قائلاً:

استطلاع المجلة

ميثم بن يحيى النهرواني[٢] والظاهر أن الرجل من النهروان والنهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد[٣]، أما ما قاله ابن حمزة الأصفهاني فهو (النهروان واد جرار يقبل من نواحي أذربيجان إلى العراق، ولعل ميثماً من أعاليه التي في أذربيجان، بل وحتى لو كان من أدانيه التي بالقرب من دجلة، لكان فارسياً لأن القرى التي على النهروان كانت على فارسيتها بعد الفتح إلى عهد أبي الحسن عليه السلام أو قبله بقليل)[٤].

٥- يفهم من النص إسلام ميثم وتصديقه بما جاء فيه حيث كان رده على أمير المؤمنين عليه السلام عندما طلب منه أن يعود لاسمه الأصلي (صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين، والله إنه لاسمي...)، بمعنى أن ميثماً وخلال لقائه الأول مع أبي الحسنين عليه السلام، بين إسلامه، بقي أن نقول إننا نلاحظ أسماء عربية مثل ميثم وسالم ويحيى وهذا يدل على عروبة ميثم وإن كان ساكناً في بلاد العجم (النهروان) قبل أسره واتخاذه عبداً من قبل الأسدية.

ميثم في النصوص التاريخية:

يكتنف حياة ميثم التمار رضي الله عنه الغموض، فلم يسلط عليه المؤرخون من الاضواء إلا القدر اليسير وتكاد تكرر هذه الظاهرة مع ثلة من الرجال المخلصين، الذين وقفوا إلى جانب الإمام علي عليه السلام في شتى المواقف وأما أصحاب السير والتراجم وأصحاب الجرح والتعديل فلم يذكروا لميثم

واجهة المرقد يتوسطها المدخل الرئيس للحرم

مرقد ميثم التمار

ترجمة أو ذكر، اللهم إلا ما ذكره ابن حجر قائلاً: (ميثم التمار الأسدي، نزل الكوفة، وله بها ذرية،...)[٥] ثم يذكر قصة تشرفه بلقاء سيد الوصيين عليه السلام التي أشرنا إليها، في حين يذكر في سلسلة تتصل بأولاد ميثم ثم ترتقي اليه بالقول (وهذه سلسلة شيعية من الغلاة في الرفض، فلا يفرح بها)[٦].

(أنفذ أمير المؤمنين عليه السلام ميثم التمار إلى أمر، فوقف على باب دكانه، فأتى رجل يشتري التمر، فأمره بوضع الدرهم ورفع التمر، فلما انصرف ميثم وجد الدرهم بهرجاً (ممسوح الكتابة)، فقال في ذلك، قال: فإذا يكون التمر مراً، فإذا هو بالمشتري رجع وقال: هذا التمر مر)[٧].

والحديث يدل على أن الإمام عليه السلام اعتمد على ميثم في إنجاز بعض المهمات الخاصة والتي يرى في ميثم أهلاً لها دون غيره ممن يتكل عليهم.

هذا وقد أودع الإمام عليه السلام ميثماً علم البلايا والمنايا، بحيث كان ميثم يعلم بها قبل وقوعها، وما هذا العلم الذي اكتنزه صدره إلا دليل على عظمته وشدة اتصاله بربه ورب العزة يقول (عبدي كن مثلي، تقل للشيء كن فيكون)[٨].

يقول احد ممن صحب ميثم وهو أبو خالد التمار: (كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة، فهبت ريح وهو في سفينة من سفن الرمان، قال: فخرج فنظر إلى الريح، فقال: شدوا برأس سفينتكم، إن هذا ريح عاصف، مات معاوية الساعة، قال: فلما كانت الجمعة المقبلة قدم بريد الشام، فلقيته فاستخبرته، فقلت له: يا عبد الله ما الخبر؟ قال: الناس على أحسن حال، توفي أمير المؤمنين وبايع الناس يزيد؛ قال: قلت: إي يوم توفي؟ قال يوم الجمعة)[٩].

وهذا النص إنما يدل على معرفة ميثم بكيفية استدلاله على موت معاوية من خلال نظره إلى الريح، كما يدل على أن ميثماً كان بياعاً للفاكهة فهو في حين نراه يحمل الرمان في سفينة وتارة أخرى يبيع البطيخ كما ذكره المؤرخون وثالثة تماراً كما أشتهر بذلك.

كما اخبر ميثم بشهادة الحسين عليه السلام في حديث جبلة المكية، التي تقول سمعت ميثما التمار يقول (والله لتقتل هذه الأمة ابن بنت نبيها في المحرم لعشر مضين منه وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وغنه لكائن قد سبق في علم الله ذكره، اعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين واخبرني إنه يبكى عليه كل شيء...)[١٠].

و سننقل نصوصاً فيما بعد تدل على علمه الذي استحصله من أمير المؤمنين عليه السلام خلاصة صحبته له.

حياته الاجتماعية:

نتيجة لصحبة ميثم للإمام عليه السلام، وبما عرف عنه من أخلاق فاضلة ومعاملة حسنة فقد تبوّأ درجة مرموقة في مجتمع الكوفة خصوصاً إبان خلافة الإمام علي عليه السلام.

أما أولاده وذريته فقد فازوا بصحبة أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى عدوا من الثقات، وقد عدهم الشيخ محمد حسين المظفر وهم (محمد وشعيب وصالح وعلي وعمران وحمزة) وتضيف

استطلاع المجلة

جملة من المصادر إليهم (إسماعيل) والذي له ولد يدعى علي يعتبر أول من تكلم على مذهب الإمامية وصنف كتاباً في الإمامة سماه (الكامل) وله كتاب الاستحقاق[١١].

وقد أثنى على أولاده وأعقابهم، الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام، إضافة لأصحابنا من الرجاليين الذين عدوهم من الثقات.

فقد قال الإمام الباقر عليه السلام لشعيب بن ميثم: (إني أحبك وأحب أباك حباً شديداً)[١٢].

فيمن كتب عن ميثم:

وقد ألّف في حياة ميثم التمار تأليفات مستقلة كاملة نذكر بعضها:

١- ميثم التمار، للعلامة المحقق السيد عبد الرزاق المقرم رحمه الله.

٢- ميثم التمار، للشيخ محمد حسين المظفر.

٣- صدى النضال في ذكرى ميثم التمار، جمع ونشر السيد جابر الحكيم.

وقد آثر عنه جملة من الأحاديث نقلها عن أمير المؤمنين عليه السلام، كما له تفسير للقرآن (تفسير ميثم التمار)[١٣].

ميثم وتطور الأحداث:

لقد ساير ميثم التمار رضي الله عنه الأحداث التي أعقبت استشهاد الإمام علي عليه السلام، من حيث خذلان أهل الكوفة للإمام الحسن عليه السلام، بل خذلان أصحابه وأقاربه وما موقف عبيد الله بن العباس إلا دليل ملموس على ذلك، وقد كان على الإمام الحسن عليه السلام إلا أن صالح معاوية حقناً لدماء المسلمين.

ولما تسلم معاوية زمام الحكم، سلط على الكوفة أشرس ولاته حيث أراد الانتقام ممن قاتله في صفين، وقد عاصر ميثم من الولاة، المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ثم عبد الله بن خالد بن أسيد ثم الضحاك بن قيس الفهري، الذي عزله معاوية سنة (٥٨هـ) وعين بدلاً عنه ابن أخته عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، وقد طرده الكوفيون، فعين معاوية النعمان بن بشير والياً جديداً على الكوفة، وتعد هذه الفترة الزمنية من أخطر الفترات التي مر بها الموالون لعلي بن أبي طالب عليه السلام، حيث كان الضحايا منهم بالعشرات من وجوه الشيعة كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق ونظائرهم ممن كانوا يمثلون وجوه الدعوة الحقة في الكوفة.

ويمكن القول: إن وضع ميثم كان بين أمرين: فهو إما كان من المشمولين بالمضايقات والمطاردة والحبس، لأنه من حواري أمير المؤمنين عليه السلام، وهم يشكلون الطبقة الأولى من الأوفياء المخلصين، أو أنه ظل جليس الدار، بعيداً عن الاجتماعات والتجمعات، إلا أن إبراهيم بن محمد يقول: (وقد كان معاوية لعنه الله يسب علياً ويتتبع أصحابه مثل ميثم التمار وعمرو بن الحمق وجويرية بن مسهر... إلخ)[١٤].

وعندما انتهى عهد معاوية في أواخر رجب سنة (٦٠هـ)، والذي أخبر به ميثم كما ذكرنا حين كان في السفينة وهب ريح عاصف.

وقد قرر ميثم التشرف بالحج إلى

بيت الله الحرام في ذلك العام أي في عام (٦٠هـ)، بمعنى أن ميثماً قصد مكة في ولاية النعمان بن بشير قبل استسلام عبيد الله بن زياد زمام الولاية ولم يحدثنا التاريخ عن اشتراك ميثم في الكتابة إلى الحسين عليه السلام مع من كتب أمثال سليمان صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد ولعل ذهاب ميثم إلى الحج كان دافعه اللقاء مع الحسين عليه السلام وجهاً لوجه لمحادثته عن أمور خطيرة وقد يكون أهمها عدم الاعتماد على وعود الكوفيين إلا أن ميثم لم يحظ بلقاء الحسين عليه السلام وكما سنعرض.

لدينا جملة من النصوص، سوف نعرضها تباعاً.

١- بإسناد مرفوع إلى ابن ميثم التمار، قال سمعت أبي يقول: (دعاني أمير المؤمنين عليه السلام يوماً فقال لي يا ميثم كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية، عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني؟ قلت إذاً والله أصبر، وذاك في الله قليل، قال عليه السلام: يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي)[١٥].

٢-(لما ولي عبيد الله بن زياد الكوفة، ودخلها تعلّق عَلَمه بالنخلة فأمر بقطعها فاشتراها رجل من النجارين، فشقها أربع قطع، قال ميثم فقلت لصالح ابني فخذ مسماراً من حديد وانقش عليه اسمي واسم أبي ودقه في بعض تلك الأجذاع، فلما مضى بعد ذلك أيام آتوني قوم من أهل السوق فقالوا: يا ميثم انهض معنا إلى الأمير نشكو إليه عامل السوق ونسأله أن يعزله عنا ويولي علينا غيره، قال: وكنت خطيب القوم فنصت لي وأعجبه منطقي، قال له عمرو بن حريث: أصلح

في الأعلى: منظر جانبي خارجي للمرقد
في الأسفل: فناء الصحن وتظهر الأواوين على جانبيه

الله الأمير تعرف هذا المتكلم؟ قال ومن هو؟ قال: هذا ميثم التمار الكذاب مولى الكذاب...، قال: فاستوى جالساً فقال لي: ما يقول؟ فقلت: كذب أصلح الله الأمير، بل أنا الصادق مولى الصادق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حقاً، فقال لي: لتبرأن من علي ولتذكرن معاوية وتتولى عثمان وتذكر محاسنه أو لأقطعن يديك ورجليك ولأصلبنك) ثم ذكر له الخبر أعلاه، (فامتلأ ابن زياد غيظاً ثم قال والله لأقطعن يديك ورجليك

استطلاع المجلة

ولأدعن لسانك حتى أكذبك وأكذب مولاك، فأمر به فقطعت يداه ورجلاهن ثم أخر فأمر به أن يصلب)[١٦]، ثم أن ميثماً جعل يحدث الناس بفضائل علي عليه السلام فقيل (لعبيد الله فلو أمرت بقطع لسانه، فقطع لسانه وشحط ساعة في دمه ثم مات).

٣- (كان ميثم يمر بعريف قومه فيقول: يا فلان كأني بك قد دعاك دعي بني أمية وابن دعيها فيطلبني منك، فتقول: هو بمكة فيقول لا أدري ما تقول، ولابد لك أن تأتي به، فتخرج إلى القادسية فتقيم بها أياماً، فإذا قدمت عليك ذهبت بي إليه حتى يقتلني على باب دار عمرو بن حريث فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخري دم عبيط)[١٧].

٤- حج ميثم في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة أم المؤمنين، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا ميثم، فقل: والله لربما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك ويوصي علياً جوف الليل، فسألها عن الحسين، فقالت: هو في حائط له، قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العرش إن شاء الله تعالى، فدعت أم سلمة بطيب، فطيبت لحيته، وقال له: أما أنها ستخضب بدم، فقدم الكوفة، فأخذه عبيد الله بن زياد، فأدخل عليه، فقيل له: هذا كان آثر الناس عند علي، قال ويحكم هذا الأعجمي؟! فقيل له: نعم، فقال له: أين ربك؟ قال: بالمرصاد للظلمة وأنت منهم قال: إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد؟ أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أني فاعل بك... إلى آخر حديث استشهاده رضي الله عنه)[١٨].

سنبدأ من النص الرابع:

حج ميثم التمار في سنة (٦٠هـ) وهذا يعني أن ميثم كان موجوداً في مكة المكرمة خلال الأيام (الثامن من ذي الحجة يوم التروية ويليه يوم عرفة ويليه أيام العيد الأضحى المبارك الأربعة في نفس العام)، ولا نعلم هل كان دخوله على أم سلمة في المدينة أم في مكة وإذا سلمنا بأن أم سلمة في المدينة حيث منزلها فهل كانت زيارة ميثم لدار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يذهب إلى مكة أم

شباك الضريح من الزاوية الغربية

المدخل إلى الضريح الحرم المطهر

بعد إكماله الحج والعودة إلى المدينة، وربما أعتمر تلك السنة ولم يحج حيث تتعارض الأحداث بين رجوعه من الحج واستشهاده السريع.

كما يظهر النص عدم استغراب أم سلمة من ميثم، بل ردت عليه بما أثلج قلبه وضاعف سروره (لربما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يذكرك ويوصي بكل علياً في جوف الليل)، وأي شيء أعز على ميثم من ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله له وتوصية أمير المؤمنين عليه السلام به.

كما ينبئ النص عن علم ميثم في عدم التقائه بالحسين مجددا بقوله لإم سلمه (أخبريه إني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربي العرش إن شاء الله).

أما حادثة استشهاد فقد اختلفت المصادر فقط في كيفية القبض علي ميثم، وباستعراضنا للنصوص الثلاثة المتبقية نلاحظ:

١- مجيء ميثم ومعه أهل السوق إلى مجلس عبيد الله بن زياد، للشكوى ضد عامل السوق وطلب عزله وتولية غيره عليهم، وعندما تقدمهم ميثم وتكلم عنهم، أعجب بمنطقه ابن زياد ثم نبهه عمرو بن حريث إلى أنه صاحب الإمام علي عليه السلام فقبض عليه.

٢- إلحاح ابن زياد على عريف القوم (المسؤول عن المنطقة التي يسكنها ميثم) في طلب ميثم، فما كان من

العريف إلا أن خرج إلى القادسية (تبعد عن الكوفة بمرحلة) لكي يلقي القبض على ميثم بمجرد قدومه من مكة).

والظاهر صحة الرأي الثاني، إذا ما سلمنا أن ميثم أكمل حجه وجد بالسير لكي يصل إلى الكوفة حيث أمضى فترة أسبوع في الطريق الذي يتطلب أكثر من عشرين يوماً سيراً متواصلاً وعليه فقد قبض عليه العريف وأخذه إلى ابن زياد وبعد أن دارت بينهما تلك المحاورة أودعه السجن، فقد نقل إبراهيم الثقفي في (الغارات): (فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد، فقال مثم التمار للمختار: إنك ستفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك)[١٩].

مما سبق يمكن أن نستنتج:

١- أن ميثماً لم يشهد حركة مسلم في الكوفة لأن مسلماً (رضوان الله عليه) قتل مع هانئ بل لم يشهد دخول عبيد الله بن زياد الكوفة لأن الوالي حينها كان النعمان بن بشير في التاسع من ذي الحجة في الوقت الذي كان فيه ميثم يؤدي مناسك الحج.

٢- تعجيل ميثم في الوصول إلى الكوفة يشير إلى رغبته الملحة في اللقاء مع الحسين عليه السلام إذا ما بنينا على إكماله مناسك الحج.

٣- كانت الفترة التي قتل فيها ميثم من أخطر الفترات، حيث شهدت قتل مسلم عليه السلام وهو رسول الحسين عليه السلام وهانئ بن عروة شيخ مذحج، إضافة لذلك شهدت تخاذل الكوفيين واستعداد السلطة الحاكمة سياسياً واجتماعياً لقتال الحسين عليه السلام حيث أصبحت الحركة في الكوفة قائمة على قدم وساق، وقد اسفر عن ذلك التحرك أعظم واقعة عرفتها البشرية ضخامة في الحدث، واقعة كربلاء التي حدثت في ١٠ محرم سنة (٦١هـ).

فسلام عليك يا ميثم الخالد طبت وطابت أرض حوت جسدك الطاهر.

العمارات التي طرأت على المرقد:

يذكر (لويس ماسينون) في كتابه متحدثاً عما سجله في زيارته مدينة الكوفة: (... ومن ثم ذهبت إلى الأكمات الكائنة في الجهة الجنوبية التي يسمونها قصر الإمارة وبيت علي وقبر ميثم التمار...)[٢٠]، وقد أرخ زيارته هذا في ١٠ آذار سنة (١٩٣٤م) بمعنى أن قبر ميثم كان مشيداً منذ زمن قديم وإنْ لم تستطع كتب الآثار والتراجم تحديده بالضبط.

يصفه الشيخ محمد حسين المظفر بقوله: (وعلى قبر ميثم اليوم قبة واطئة لا يعرف المجاورون لمسجد الكوفة متى كان عهد بنائها حتى من بلغ الثمانين منهم وليس تحتها ولا في البناء الذي حول القبر كتابة أو نقش لنعرف منه متى كان عهد البناء وقد غشّى هذه القبة بالقاشاني في هذه الأيام الحاج عباس ناجي النجفي وفقه الله، وأما السور الذي يحيط بالساحة التي حول القبر فقد بناه السيد عطا الله الأرومي رحمه الله من أهل أرومية في آذربيجان وكان من طلبة العلوم في النجف الاشرف وعهد بنائه قبل خمسين عاماً تقريباً وهو الذي بنا

الإيوان الذي أمام غرفة القبر اليوم ورمم الغرفة والقبة وله آثار مازالت باقية في السجد وما حوله كما روى لي ذلك أحد الشيوخ من خدمة مسجد الكوفة وكان في عهد صباه أحد الفعلة في البناء.

ثم يضيف: (... وكانت على القبر دكة وعليها صخرة كتب عليه اسمه وأنه صاحب أمير المؤمنين عليه السلام والدكة والصخرة اليوم تحت الصندوق الخشبي الذي صنعه الحاج خضر سياب النجفي وفقه الله وكتب على الصندوق مرقد صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ميثم بن يحيى التمار سنة ١٣٦٠هـ،...

ويستمر بالوصف (... وكان حول القبر سور قديم يبعد عن غرفة القبر ما يقرب من خمسة أمتار إذا كشفوا التراب قليلاً، يظهر أساسه وقد أرشدني إليه خازن قبر مسلم عليه السلام الشيخ طعمة ابن الشيخ ياسين، وكان عرض هذا الأساس مكشوفاً من جهة الشرق ويكاد أن يكون عرض هذا الأساس ما يقارب المتر وذكر لي أنه وجدوا ما بين السورين القديم والحديث من الشرق قبوراً قديمة وهذه شواهد أخرى على أن هذا القبر لميثم)[٢١].

أما الشيخ محمد حرز الدين فقد اكتفى بالتنويه للقبر قائلاً: (مرقده - أي ميثم - بالكوفة غربي مسجد الكوفة الأعظم، قريب منه، وكان إلى جنب دار عمرو بن حريث المتوفى سنة (٨٥هـ)، واليوم مرقده عامر مشيد عليه قبة بيضاء متوسطة الحجم والارتفاع في وسط حرم متواضع)[٢٢].

وقد علق على هذا المختصر، نجل الشيخ حرز الدين في نفس المصدر قائلاً: (وقد جد بناءه المحسن الوجيه الحاج محمد رشاد بن ناصر مرزة النجفي (وله في البناء كرامة جرت لميثم رضي الله عنه حيث اشتكى المرحوم الحاج رشاد حينها من ألم، وقد أجرى عدة فحوصات فبينت إصابته بمرض خبيث، فتوجه من ساعته لمرقد ميثم وسال الله إن شفاه من مرضه أعاد بناء المرقد ورمم قدر المستطاع، وبعد برهة من الزمن أعاد تلك الفحوصات فبينت عدم وجود اثر لذلك المرض على جسمه، فشرع بتجديده) وأرصد لبنائه أربعين ألف دينار عراقي، وكان ابتداء العمل ببنائه يوم (٢٦ حزيران سنة ١٩٦٢م/١٣٨٢هـ)، وانتهائه يوم (٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ)، وقد أشاد له حرماً وعليه قبة عالية البناء مكسوة بالقاشي الأزرق، حول مرقده أروقة للزائرين، كما أشاد أمام مرقده بهواً - طارمة شرقية - تتناسب وبناء الحرم من الارتفاع وقد كتب على واجهتها أبيات أربعة بخط ثلثي بارز للمؤرخ الجليل العلامة السيد محمد الحسيني الحلي وفيها تاريخ عام العمل ببنائه وها هي:

من يزرع الخير سيجني غداً
خيراً ويبقى بعده مقتدى
ولم ينله غير من قد غدا
منتهجاً نهج (رشاد) الهدى
فكم له من عمل صالح
لصوته في كل ناد صدى
صان قديم المجد تاريخه:
(وميثم التمار قد جُدّدا)
سنة ١٣٨٤هـ

استطلاع المجلة

المرقد اليوم:

قد لا نختلف كثيراً عن الوصف الذي ذكرناه آنفاً، الذي تحدث عنه الشيخ محمد حسين حرز الدين (رحمه الله)، فالبناء القائم الآن هو نفس البناء السابق لم يستحدث فيه جديد سوى تغليف الواجهة الأمامية للحرم (الجهة المطلة على الطارمة) بالسيراميك بارتفاع متر ونصف يليه تغليف بالكاشي الكربلائي، ، ومع ذلك فسوف نذكر تفاصيل أكثر حول المرقد توثيقاً لما قد تأتي به الأيام المقبلة خصوصاً والمنطقة المحيطة بالمرقد مشمولة بالتجديد والتحديث.

يطل المرقد الطاهر على شارع الكوفة من الجهة الغربية، إلا أن مدخله يقع في الجهة الشمالية وسوف تستحدث باب جديدة تطل عل الجهة الجنوبية المطلة على شارع فرعي يؤدي إلى بعض أحياء مدينة الكوفة.

يتوسط المرقد الصحن ويتكون من طارمة خارجية تفضي إلى مدخل مركزي بعرض (٦) متر تقريباً وتعلوه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وقد كُتبت على الكاشي الكربلائي، في حين نلاحظ واجهة الطارمة وقد علتها

في الأعلى: صورة للمدينة الخضراء المزمع إقامتها بين مرقد ميثم ومسجد الكوفة
في الأسفل: تغليف للجدار الخارجي بالسيراميك لازال قائماً

مرقد ميثم التمار

الواجهة الأمامية لمرقد ميثم التمار وتبدو عليها آثار الترميم

بعض آي القرآن الكريم (في بيوت أذن الله لها أن ترفع...)، تطل الطارمة على الصحن ويفصله عنها سياج من الحديد، وتقع على جانبي المدخل الرئيس قطعتان من الكاشي الكربلائي، كتبت عليها زيارة ميثم التمار رضي الله عنه، كما تقع كيشوانية صغيرة على يسار الداخل إلى الحرم، أما الحرم الداخلي فيتوسطه الصندوق، والصندوق حديدي قديم مستطيل الشكل بأبعاد (٢×٥، ٢) متر تعلوه آيات قرآنية محفورة على الحديد، ويقع بداخل الصندوق صندوق خشبي يعلو القبر، في حين نلاحظ القبة وقد زُخرفت من داخلها بالمرايا وقد وزعت بصورة طوقية فيها أسماء المعصومين عليهم السلام، ترتفع القبة (٥) متر تقريباً ويبلغ قطرها (٥) متر أيضاً، تستند القبة على دعامات داخلة ضمن الجدار الأساسي للحرم لذا فهي تحتل الفضاء الكلي للحرم الداخلي، أما من الخارج فقد غُلفت القبة بالقاشاني الأخضر تتخلله بعض القطع البيضاء المنسقة بشكل هندسي جميل.

أما باقي الحرم فهو عبارة عن رواقين أحدهما خاص للنساء، ويمكن الدخول إليه عن طريق باب تقع مقابل القبر المطهر (الصندوق) أما الرواق الآخر فهو خاص بالرجال ويمكن الدخول إليه من منفذين الأول على الجهة المقابلة لمدخل رواق النساء والآخر على الجهة المقابلة للمدخل الرئيس للحرم وهو مدخل كبير زجاجي مشبك يبلغ عرضه (٥) متر تقريباً وتتفتح من الأمتار الخمس باب تتوسطها ببعد مترين تقريباً.

تبلغ مساحة الحرم والرواقين (١٥×٢٠) متر، أما ارتفاع الجدران فيبلغ (٦) متر تقريباً، وقد طليت الجدران بصبغ أزرق فاتح مع هزارة مزخرفة يدوياً بالطلاء العادي، يمكن القول أن الجدران بحاجة إلى صبغ جديد من الداخل، وقد

استطلاع المجلة

غلفت جدران الحرم الداخلية بالكاشي المزخرف الجميل، أما من الخارج فيبدو الطابوق وكأنه لم يطلى بأي طلاء.

أما أرضية الحرم والأروقة والطارمة فكلها من الكاشي الموزائيك الجيد، وتبلغ مساحة الصحن (٤١٠٠) متر مربع[٢٣]، تتناثر فيه نخيلات هنا وهناك، وتحيط به أروقة كبيرة مسقفة بسقف واحد مستمر، مفتوحة على بعضها البعض ويبدو أنها غلفت مؤخراً بالسيراميك، يبلغ عدد الأروقة (٤٠) رواق تقريباً وتقع في الزاوية الجنوبية الشرقية المجموعة الصحية التي سوف تزال لتحل محلها مجموعة صحية جديدة أطلعنا على مخططاتها في دائرة الشئون الهندسية بمديرية الوقف الشيعي/ محافظة النجف الأشرف، وسوف تفي بخدمة العدد المتزايد من زائري المرقد المبارك.

يلاحظ الزائر وجود مقبرة تقع خلف مرقد ميثم التمار، يفصل بينها وبين المرقد شارع ضيق وقد استعملت إبان الانتفاضة الشعبانية عام (١٩٩١م) حيث تعذر على الناس دفن موتاهم بسبب القصف العنيف الذي تعرضت له مقبرة وادي السلام في النجف ويبدو إنها سوف تُزال بسبب التوسع الذي ستشهده المنطقة بالكامل.

ويدخل مرقد ميثم اليوم ضمن مشروع المدينة الخضراء حيث باشرت مديرية الوقف الشيعي بإنشاء منطقة ذات طابع سياحي ديني تحاط بسياج يبلغ محيطه (٢٣٠٠) متر تقريباً، تمتد المنطقة مما يلي مرقد ميثم التمار رضي الله عنه جنوباً حتى مرقد السيدة خديجة بنت الإمام علي عليه السلام شمالاً، وتحاذي شارع الكوفة غرباً لتصل بحدودها إلى ما بعد بيت الإمام علي عليه السلام شرقاً، وتضم المنطقة كل من بيت الإمام علي عليه السلام ومسجد الكوفة والصحن الذي يضم مرقدي مسلم بن عقيل عليه السلام وهانئ بن عروة رضي الله عنه، كما تحتوي المنطقة على مساحات خضراء، وارفة الظلال تتخللها مصاطب للجلوس وبعض الحوانيت التي تزود الزائر بما

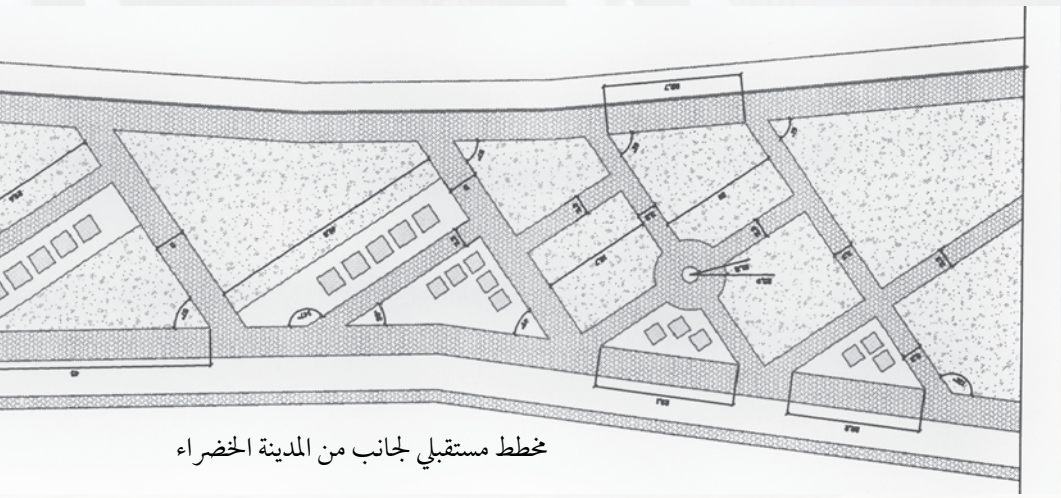

مخطط مستقبلي لجانب من المدينة الخضراء

مرقد ميثم التمار

يحتاجه من طعام إضافة لمرآب كبير يسع عدداً لا بأس به من الحافلات والسيارات.

فيما يخص مرقد ميثم التمار، يصل الأعمار إلى تغليف الخارجي بالسيراميك الأخضر الداكن لضلعين فقط كمرحلة أولى في حين يُشمل الضلعان الآخران في مرحلة ثانية، كما ستحيط بالمرقد مماشي هندسية مرتبة ويُربط المرقد بمسجد الكوفة وباقي المواقع الأثرية بشارع جديد، كما في النية عمل جدارية بالجهة المقابلة للمدخل الرئيسي للمرقد تُستوحى من شكل النخلة التي صُلب عليها ميثم رضوان الله عليهن، وتتداخل معها نافورة(فوارة ماء) لتضفي على المكان جمالية في المظهر واقتراب من التعبير.

نأمل أن يتم هذا المشروع كي يعكس واجهة جمالية وحضارية لمدينة الكوفة ذات الطابع الحضاري المجيد، عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام سابقاً وعاصمة حفيده الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف فيما شاء الله ■

(١) المفيد، الإرشاد، ٣٢٣/١.
(٢) الكشي، رجال، ص٥٥.
(٣)الحموي، معجم البلدان، ٣٢٥/٥.
(٤) المظفر، ميثم التمار، ص٥.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ٢٤٩/٦.
(٦) المصدر السابق.
(٧) ابن شهراشوب، المناقب،١٥٤/٢.
(٨) بحر العلوم، الفوائد الرجالية،٣٩/١.
(٩) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٧/٤٢.
(١٠) المصدر السابق، ٢٠٢/٤٥.
(١١)المصدر السابق،٣٧٠/١٠.
(١٢) الحلي، خلاصة الأقوال، ص١٩٦.
(١٣) آغا بزرك، الذريعة، ٣١٧/٤.
(١٤) الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص٤.
(١٥) الثقفي، الغارات، ٨٤٣/٢.
(١٦) النيسابوري، روضة الواعظين، ٢٨٩.
(١٧) الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص٥٤.
(١٨) الثقفي، الغارات، ٧٩٦/٢.
(١٩) المصدر السابق.
(٢٠) المظفر، ميثم التمار، ص٧٥.
(٢١) المصدر السابق.
(٢٢) حرز الدين، مراقد المعارف، ٣٤٢/٢.
(٢٣) أخبرنا بذلك المهندس حسنين كربول.

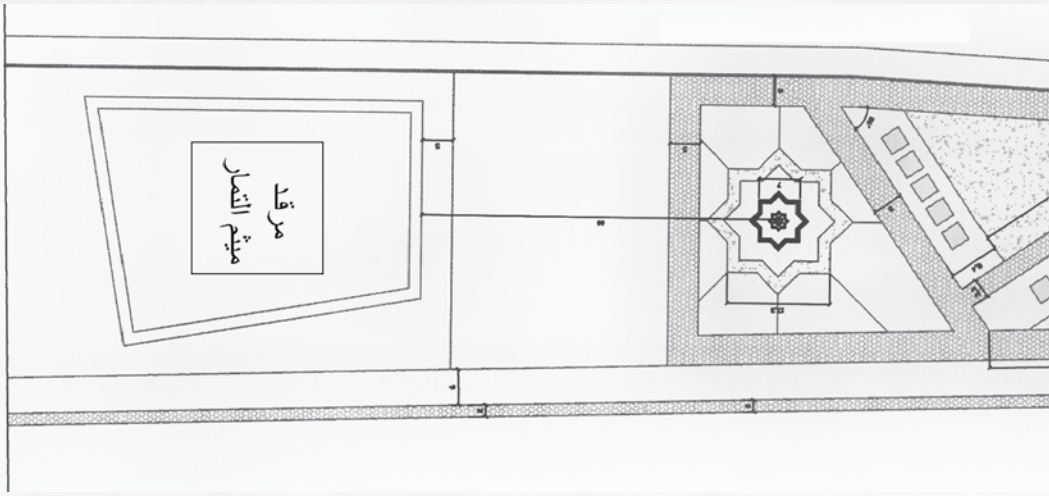

في رحاب الفقه

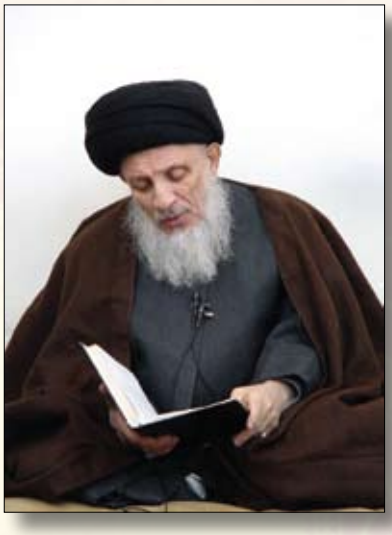

يعلن باب (في رحاب الفقه)
عن استعداده
للقراء الكرام في
استقبال أسئلتهم الفقهية،
والإجابة عنها في ضوء فتاوى
سماحة المرجع الديني الكبير
السيد محمد سعيد الطباطبائي
الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: إذا كان هناك أثاث وأدوات خدماتية أخرى موقوفة لمآتم أو مسجد وقد استهلكت وأريد استبدالها ولم يوجد هناك مآتم أو مسجد آخر يمكن ان يستفيد منها وأراد بعض المؤمنين شراءها بدل من رميها فهل يجوز بيعها لمصلحة المآتم أو المسجد (الموقوف عليه)؟

ج: تستعمل فيما أوقفت عليه ما دامت صالحة للانتفاع فإذا سقطت عن ذلك واستهلكت أو استغني عنها بالجديد بحيث لا يمكن أن يستفاد منها ولم يوجد مأتم أو مسجد آخر يستفاد فيه منها كما هو المفروض جاز أن يباع ويصرف ثمنه في مصارف الصدقات ومنها مصالح ذلك المسجد أو المأتم.

س: ما حكم بيع وشراء الأسهم؟

ج: إذا كانت الأسهم لشركات محللة فلا بأس بذلك.

س: هل كان لبقية الأنبياء والمرسلين أوصياء بخلاف

النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم)؟ وهل كان لكل نبي وصي أم لكل رسول نبي؟ وهل يمكن أن يكون نبي هو أيضاً نبي و وصي نبي أو رسول؟

ج: كان لسائر الأنبياء والمرسلين أوصياء وبعض هؤلاء الأوصياء مضافاً إلى كونه وصياً لنبي كان نبياً أيضاً كيوشع بن نون فإنه مع كونه وصياً لموسى (عليه السلام) كان نبياً أيضاً.

س: لو كان المأموم معتقداً صحة قراءة الإمام ثم أثناء الصلاة وجده قد قرأ كلمة خطأ أو أنقص كلمة مثلاً، فما حكم المأموم ينفرد أم يتابع على اعتبار أن الإمام إنما فعل ذلك سهواً؟

ج: لا يضر خطأ الإمام في غير قراءة الحمد والسورة الأوليين، والأحوط وجوباً اشتراط صحة قراءته فيهما في الصلاة الجهرية وإذا تبين بعد الصلاة خطأ الإمام صحت صلاة المأموم، وأما إذا التفت المأموم إلى ذلك في الأثناء قبل ركوع الإمام فالأحوط وجوباً أن يقرأ لنفسه وينفرد أو يكمل صلاته بما لا ينافي صلاة المنفرد.

س: لو أردت أن أحول مبلغ من بنك لآخر يأخذ مبلغ على الحوالة أي لو حولت ألف ريال إلى بنك آخر يأخذ البنك مبلغ خمسة عشر أو أكثر مقابل هذه الحوالة فهل هذه الحوالة جائزة أم تعتبر ربوية؟

ج: نعم تجوز وليست من الربا بل هي أجرة على التحويل والنقل.

س: هل يجوز قراءة الفنجان والطالع؟

ج: الفنجان والطالع ليسا حجة شرعاً ولا يجوز الجزم بمفادهما ويجوز الاستفادة منهما برجاء إصابة الواقع ولكن الأولى ترك ذلك.

س: أنا في عاتقي نذر لله أن اذبح كبشاً والآن تحقق هذا النذر فهل يجوز لي أن اذبح الكبش في يوم عاشوراء؟ هل هو مستحب أم مكروه ذبحه في عاشوراء؟

ج: إذا كان نذرك مطلقاً غير مقيد بأن تذبحه في يوم معين جاز ذبحه في أي وقت ولو كان يوم عاشوراء.

س: لو وُضعت تجليدة شفافة على آيات القرآن هل يجوز مسها دون طهارة؟

ج: نعم يجوز.

س: ما المقصود بالشبهة المحصورة وغير المحصورة والشبهة البدوية؟

ج: الشبهة المحصورة ما خرج بعض أطرافها لأجل الكثرة عن محل ابتلاء المكلف. والشبهة غير المحصورة ما كان تمام أطرافها لقلتها محل ابتلائه

مع اشتراكهما في وجود العلم الإجمالي في الأطراف. والشبهة البدوية ليس فيها علم إجمالي.

س: نحن موظفي شركة نفط الجنوب نعمل بمعدل (٨٧) أيام في الشهر، فما حكم صلاتنا وصيامنا في الشركة من ناحية القصر والتمام والصيام والإفطار علماً أن المسافة الشرعية التي نقطعها إلى موقع العمل تتجاوز المسافة الشرعية للقصر والإفطار؟

ج: يجب عليكم الإفطار والقصر في الشركة في مفروض السؤال.

س: ما هي الأمور التي يتحلى بها طالب العلم الحوزوي؟ كيف لنا كطلاب حوزة علمية الرقي بديننا وعلمنا؟

ج: أهم ما يجب على طلاب العلوم الدينية مراعاته تصحيح القصد وإخلاص النية وتطهير القلب من دنس الأغراض الدنيوية والرذائل الأخلاقية وتكميل النفس باقتناء الفضائل الخلقية وقهر القوتين الشهوية والغضبية وحسن الاستماع لكلام الأساتذة والمعلمين والتواضع لهم وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (اطلبوا العلم وتزينوا بالحلم وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم) بل أن الكثير من غير طلاب العلوم الدينية من المؤمنين وفقهم الله يتحلون ببعض هذه الفضائل، وطلاب العلوم الدينية أولى من غيرهم في العمل بوصايا أهل البيت (عليهم السلام) والتحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق.

س: إذا قال الفلك أنه لا يمكن رؤية الهلال في هذه الليلة، وشهد عدلان على رؤيته، فهل يؤخذ بشهادتهما؟

ج: تكفي شهادة العدلين في ثبوت الهلال إذا لم يكن هناك ما يوجب الريب في صدقهما ويكون أمارة عرفاً على خطئهما، كما إذا اجمع الفلكيون على امتناع رؤية الهلال.

س: ماذا يجب على من يريد التوبة أن يفعله؟ وكيف يمكن الوصول إلى الله تعالى.

ج: التوبة هي التي منّ الله بها على عباده رأفةً منه بهم ورحمة لهم. وقد ورد الحث عليها في آيات كثيرة وأحاديث من النبي وأوصيائه (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وقد ورد أن العبد إذا اقترف سيئة أنظره الله تعالى سبع ساعات فإن تاب لم تكتب عليه، وإن لم يتب كتبت عليه سيئة، ثم هو في فسحة من أمره تقبل منه التوبة مادام فيه الروح ـ كما تظافرت به النصوص وأكدت عليه ـ فالواجب على المؤمن عقلاً ونقلاً المبادرة إليها وانتهاز الفرصة قبل أن يفاجئه الأجل أو يسودّ قلبه من الذنوب ويطبع عليه، فلا يفيق من سكرته ولا يصحو من غشيته

أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وما ربك بظلام للعبيد. ولابدّ في التوبة من أمرين: الندم على الذنب والعزم على ترك العود فيه أبداً، وبذلك تتحقق التوبة النصوح التي ورد ذكرها في الكتاب الكريم والسنة الشريفة فإن غلبته نفسه وسوّل له الشيطان فعاد في الذنب كان عليه المبادرة للتوبة أيضا، وهكذا كلما عاد تاب حتى تقوى توبته وتستحكم حيث لا تغلق التوبة في وجهه أبداً مهما عاد رأفة من الله ورحمة به، فإنّه عزّ اسمه يحب من عبده أن لا تقعد به المعصية عن التوبة مهما كثرت ذنوبه وعظمت عيوبه، وليحذر العبد من القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، فإن ذلك من الكبائر، وهو من أعظم وسائل الشيطان وأقوى حبائله ليسيطر على العبد ويجرّه إلى الهلكة أعاذنا الله تعالى منه ومن مكره وكيده، ونسأله أن يعصمنا من الزلل في القول والعمل وأن يختم لنا بالتوبة والمغفرة والسعادة وحسن العاقبة، إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

س: في الوضوء عند غسل اليد، أقوم بأخذ غرفة ماء واضعها في الكف وأغسل اليد من المرفق إلى نهاية الأصابع دون تمرير اليد على أطراف الأصابع مع اعتقادي بوصول الماء إليها. ومع التدقيق في الفترة الأخيرة أصبح عندي شك بوصول الماء إلى تلك الأطراف، فما حكم الوضوء في هذه الحالة مع العلم إنني كنت أتوضأ بهذه الطريقة لسنوات. وفي أخر مرة شككت في وصول الماء لم أعتني بشكي فأتممت الوضوء.

ج: إذا كان الشك قبل الفراغ من الوضوء وجب الاعتناء بالشك وإيصال الماء إلى تلك الأطراف وإذا كان الشك بعد الفراغ يحكم بالصحة ولا يعتنى بالشك.

س: هل ثبت عندكم أن الرسول صلى الله عليه واله كان يستعمل الحجامة لكونها مفيدة لصحة الجسم؟

ج: ورد في عدة روايات انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد استخدم الحجامة للعلاج ونحوه فهي سنة من سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ورد الترغيب بها والحث عليها في كثير من النصوص.

س: هل الإتيان بالأذان والإقامة واجب في الصلاة.

ج: لا يجب ذلك وإنما يستحب استحباباً مؤكداً ولاسيما الإقامة.

س: هل من الواجب على المرأة المسلمة لبس أو ارتداء الجوارب؟ ولماذا؟ وما هو الدليل؟

ج: الأحوط وجوباً لها سترهما عن الناظر الأجنبي بالجوارب أو غيرها، ولا مجال لذكر الدليل على ذلك في هذا الجواب ■

خطبة الغدير

دراسة في المضمون النثري

• م. م. حيدر كريم كاظم الجمالي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

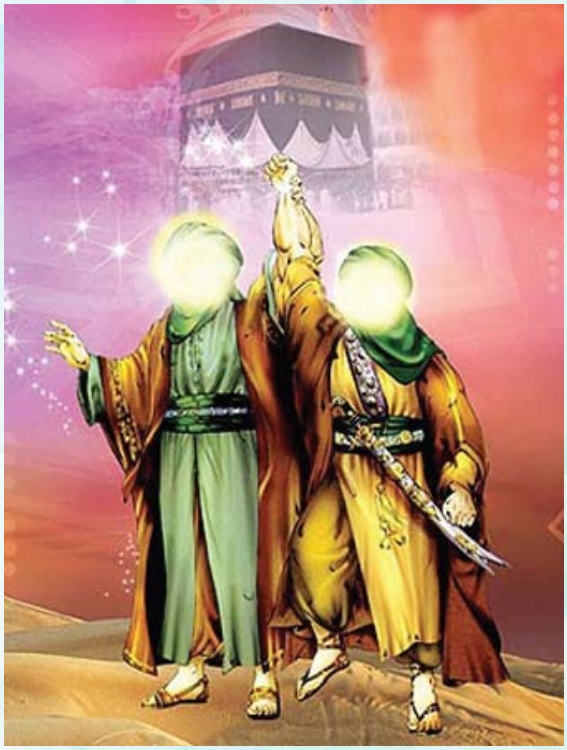

ينابيع كان للخطابة شأن خطير، وأثر رائد في حياة العرب في العصر الجاهلي فلما جاء النبي ﷺ بالدعوة المباركة، استدعت الدعوة الجديدة من أهلها ألسنة قوالة لتأييدها، ونشرها، فأصبحت الخطابة أداة الدعوة تشرح للناس أسرارها، وتبين المثل والقيم التي أتت بها، وتوضح خفاياها وتحبب الناس فيها وتجادل خصومها.

إن هذا الانقلاب الديني قد فجّر كثيراً من الطاقات الكامنة عند العرب، وتلك الدعوة العظيمة إلى الإسلام قد أنشطت الألسن من عقالها، وأثارت الخطابة

من مكامنها، وكان العمل الأكبر والأساسي لصاحب الدعوة سيدنا محمدﷺ الذي بلغ القرآن، وعمل جاهداً على نشر دعوته معتمداً كثيراً على الخطابة بدعوته عشيرته الأقربين، وذهابه إلى أحياء العرب، ولقائه الناس في الأسواق العامة، وفي مواسم الحج ووفود قبائل العرب إليه من كل حدب وصوب فيشرح لهم ببيانه، ويفيض عليهم من عذوبة لفظه وسماحة لسانه ومن أهداف الخطابة الإسلامية وغاياتها:

١ـ نشر الإسلام وتثبيت دعائمه بدعوة الناس إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، والقضاء، والقدر: خيره وشره، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وشرح آداب الدين ونشر فضائله، وتوضيح أسراره وتبيان مزاياه، وتوجيه الناس إلى ما يصلحهم في دنياهم ويسعدهم في أخراهم ولاسيما ما ذكره (صلوات الله وسلامه عليه) في خطبته في حجة الوداع من ثوابت للأمة الإسلامية تكون للأمة مناراً يهتدون به.

٢ـ الحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، وبنشر دينه في جميع نواحي المعمورة، وذلك تنفيذاً لأوامره، وابتغاء لمرضاته، للحصول إلى ما وعد به من أجر عظيم، وهذا بدل مما عرفه الجاهليون من حض على القتال بين القبائل للنزاع على موارد العيش أو على الشرف والرياسة.

٣ـ الحث على السعي في الحياة الدنيا لتأمين العيش الكريم، إلى جانب الدعوة إلى الزهد والى ترك الانغماس في ملذات الدنيا ونعيمها فنعيم الآخرة خير وأبقى.

٤ـ توضيح نظم الحياة التي ينبغي أن تقوم عليها الدولة الإسلامية في مساواة في الحقوق، وعدالة اجتماعية، وتعاون ضمن آداب رفيعة السلوك وأخلاق سامية في سبيل الحق والخير، وتوضيح العلاقات بين الأفراد القائمة على مبدا الأخوة، والعلاقات الزوجية، ووضع الحلول لمشاكل المجتمع من رق وعبودية، وتوزيع الثروة ومشكلة الفقر، وغيرها بما يحقق سعادة الجنس البشري ورفاهيته، وهكذا نرى أن الخطابة كانت في عصر صدر الإسلام موضحة لمضمون آي الذكر الحكيم وسنة النبيﷺ ثم تحولت في بعض مجالاتها إلى دفاع عن رأي أو تحمس لمبدأ أو شرح نهج سياسي.

ولا يستطيع باحث في أدب الدعوة حين يذكر الخطابة في هذا العصر أن يغفل خطبة النبي الأكرم محمدﷺ في حجة الوداع والمعروفة ـ خطبة عيد الغدير ـ فهي أنموذج للبيان النبوي المحمدي المصفى من أي أثر في صياغة للغة الجاهلية وهي على إيجازها، دستور في السياسة والعقيدة والاجتماع والاقتصاد، وحقوق الإنسان ولاسيما حقوق المرأة، وكل هذا في بيان واضح ودقيق يستقبله الناس مع نور النبوة المتلألئ، ويصغون إليه باهتمام بالغ، وذلك الذي أيقظته فيهم براعة المتكلم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إذ قال: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في هذا الموقف أبداً)[1] فأيقظ فيهم الإحساس بأن الكلمة التي تقال اليوم لنا تدرك بعد، وإن الذي يخاطبهم اليوم عما قريب راحل، ويجب أي مستمع أن

يستحضر هذه الخواطر ليكون كله قلباً واعياً وآذاناً صاغية.

ورحم الله العلامة الأميني الذي كفانا مؤونة السند في هذه الخطبة إذ ذكر في كتابه الغدير فصولاً أثبت فيها صحة وسند هذه الخطبة، وينظر الغدير الجزء الأول صفحة (١٣٣) فما بعدها.

فلنستمع إلى الصوت المحمدي في ذلك الغدير، وقد اجتمع مئة ألف أو يزيدون في ذلك الهجير وبعد أن انصرف ﷺ من صلاته قام خطيباً وسط الجمع على أقتاب الإبل فقال: (الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيها الناس قد أنبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم.

قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال ﷺ: أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم؟

قال ﷺ: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه يقولها ثلاثاً ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي. ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام وممن هنأه في مقدم الصحابة ـ الشيخان ـ أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقال ابن عباس: وجبت ـ والله ـ في أعناق القوم فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن، فقالﷺ: قل على بركة الله[٢].

فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية الماضية ثم قال[٣]:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم واسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم
فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا
ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

ومن هذه الخطبة العظيمة نستنتج أموراً كثيرة منها:

أ ـ أن النبيﷺ قد أوتي من البلاغة والفصاحة الشيء الكثير فهو خير ناطق من البشر مصداقاً لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى) وقد تجلى ذلك في إيجاز كلمه، ونصاعة لفظه، وصحة معانيه.

ب ـ شعر النبيﷺ بدنو أجله، فاستغل مناسبة الحج مناسبة اجتماع المسلمين من كل حدب وصوب، وكانت حجة الوداع هي في الوقت عينه البلاغ وذلك أنه لم يحج بعدها.

ج ـ لقد زود الرسول محمدﷺ المسلمين بالوصايا الثمينة التي ظلت مناراً يستضيئون به في مسالك حياتهم القادمة ووضع لهم القواعد الصلبة لتعاليم وتوجيهات السماء ألا وهي ولاية علي عليه السلام.

د ـ لقد علم الرسولﷺ أصحابه قواعد الخطابة الإسلامية التي اتخذوها سنة لهم من حيث طريقة الاستهلال وطرق الموضوع والخاتمة.

خصائص الخطبة:

أ ـ مقدمة الخطبة:

بدأهاﷺ بمقدمة إسلامية كاملة كيف لا وهو المؤسس لكل كمال في الحياة البشرية وهي قولهﷺ: (الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله).

والشهادتان أساس في الخطبة سار عليه من بعده صحابته والتابعون والى يومنا هذا، وسميت الخطبة التي تخلو من الاستهلال بالبتراء.

ب ـ العرض والغيب:

تنبأ الرسولﷺ وصدقت نبوءته حيث أخبر الناس أنه ربما لا يلقاهم في عامه التابع في موقفه بمكة فقد اختاره الله إلى جواره في ذلك العام، وقد اشتمل عرض الخطبة على عدة موضوعات وأوفى الرسول الأكرمﷺ كل موضوع حقه من البحث ووضع وسائل وأسس المعالجة وكان في عرضه للأمر وسرد علاجه أوضح دليل على بعد نظره في قيادة الأمة والأخذ بيدها حتى تعبر إلى بر الأمان ليعيش الناس متحابين متآخين وهذه الموضوعات هي:

أولاً: الالتزام والتقييد والحرص على ما جاء في كتاب الله.

ثانياً: الدعوة إلى التمسك بالتوحيد.

ثالثاً: ذكر ما أعده الله للمؤمنين جزاء لما كسبوا في الحياة الدنيا.

رابعاً: التمسك بالثقلين ففيهما صلاح الأمة وهما كما ذكر (صلوات الله وسلامه عليه) القرآن وعترته عليهم السلام.

خامساً: الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأن النصر لمواليه والخسران لأعدائه لأن الحق مع علي عليه السلام أينما دار.

ج ـ بدأها صلى الله عليه وآله النداء بقوله: (أيها الناس وهذا الأسلوب لاستحضار النفوس واستجماعها لدى السامع، ومن ثم قال مستفهماً (فماذا أنتم قائلون) والاستفهام هنا ينبه الأذهان الغافلة ويحرك العقول الراكدة وأن المسؤول يشعر أن عليه عبء الإجابة ولا يستريح إلا بإلقاء الجواب فهو في حركة ذهنية حتى يصل إلى المطلوب.

وكان السؤال عن رحيله إلى الرفيق الأعلى وتكرر السؤال في هذه الخطبة لأكثر من مرة (ألستم تشهدون)، (ألا تسمعون)، (كيف تخلفوني)، (من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم) وهذه التساؤلات هي التي رصنت هذه الخطبة وجعلت المتلقي يطوف في خيالات هذه التساؤلات وينتقل من جواب إلى جواب أي: ينشد المتلقي إلى السامع.. كيف لا! والأمر خطير، والبلاغ عظيم.

فقد أراد سلام الله عليه أن يبلغهم بأهمية الثقلين والولاية ولكن عبر هذه التساؤلات كي يصل الجميع إلى قناعة وترسيخ عقيدة بأن التمسك بهذه المبادئ والقيم السامية طريق إلى إتمام النعمة فقد ذكر (صلوات الله عليه وعلى آل بيته) ذلك في آخر الخطبة: (الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي بن أبي طالب).

د ـ سمو النزعة الجمالية: تتصف خطب النبي صلى الله عليه وآله عامة في بعض مطالعها بسمة جمالية متفوقة وخاصة في الصلاة التي يبتهل فيها إلى خالقه، وبعض المقاطع التي صور فيها الدنيا والآخرة، وفي هذه المقدمات تتواتر الأسجاع تواتراً داخلياً وثيقاً بما لم تدركه الأسجاع الجاهلية، وهذا التآلف العميق بين السجعة الوثيقة والمعاني العميقة أدى بخطب النبي صلى الله عليه وآله إلى مستوى من الإبداع الفني حتى ليخيل إلينا أنها تتراوح في مستوى بين الآيات القرآنية والنثر الخطابي الشائع في أرقى مراتبه.

هـ ـ تجديد الموضوعات والمعاني، فإذا قابلنا هذه الخطبة بالخطب الجاهلية نرى أن موضوع الخطبة ومعانيها قد انصرف إلى اتجاهات أخرى متباينة عن خطيب الجاهليين فيما كان الجاهلي يحث على السلم وتجنب الحرب في سبيل منع الضرر وإحلال النفع نرى أن النبي صلى الله عليه وآله يحيل من دون ذلك حدود الخير والشر والحلال والحرام وذهبت تأملاته الإسلامية بعيداً إلى مدارك الآخرة وترسم عبر خُطبه تعاليم التقوى والإحسان والجنة والنار والدنيا والآخرة، والثواب والعقاب والثقلين والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

و ـ لغة الخطبة لغة تشريعية، دينية بعيدة عن أبهة العبارة الجاهلية الفضفاضة فألفاظ هذه الخطبة بسيطة في أسلوبها عميقة في معانيها عمد صلى الله عليه وآله فيها إلى الأسلوب المباشر الذي كساه بحلة

جمالية فائقة باستعمال أسلوب الحوار قال وقالوا وهذا جعل تواصل المستمع مع المتلقي للوصول إلى جملة من التشريعات التي سنتها السماء وعلى البشر إتباعها.

ز ـ الإيجاز: وهو من موجبات بلاغة الإنسان ومن سمات الخطابة التي سنها رسول الله ﷺ، والميل إلى التلميح، دون التصريح والى التقدير والإبهام دون الذكر والتطويل والتفسير، وتجنب الإسهاب والتبسيط، وهذا يتوافق مع مقتضيات مصلحة الأمة فالتناسب يجب أن يكون متوازناً بين أهمية الفكرة والموضوع والمناسبة التاريخية وخطورة المرحلة اللاحقة ولاسيما أنه ﷺ قد بين أنه مفارق هذه الأمة، وهذا الإيجاز مقترن بجزالة الألفاظ ومتانتها وعذوبتها في الفم ولذاذته في السمع.

ح ـ حسن الإيقاع: ويراد به رصف الكلام رصفاً متناسب الأجزاء، ويحصل من تلاؤم الألفاظ والعبارات تلاؤماً تهفو إليه النفوس، والخطبة بما فيها رنة مطربة سواء كان ذلك في فواصلها أو أسجاعها، أو اتساق ألفاظها في فقراتها فتعد أنموذجاً في الأدب العربي، فإذا نظرت في عبارتها رأيت قوة السبك مقرونة بما يناسب شعور النفس من عنف حين العنف ورقة في موقف الرقة ويغلب على أسلوبه الروعة الخطابية، والوثبات العاطفية التي ولدها أسلوب الحوار الذي تكرر مراراً في الخطبة بالفعل (قال) وجوابهم بـ(قالوا).

ط ـ روعة الانتقال: ويراد بها الوثوب من معنى إلى معنى أو من حالة إلى حالة وثوباً يحرك النفس ويزيد في روعة المعنى، وأكثر ما يكون فيما يطلق عليه العلماء اسم الالتفات من صيغة إلى أخرى وصولاً للمعنى الأساس من هذه الخطبة وهو الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام فالتسلسل المنطقي كان جوهرياً انتقالاً من معنى إلى آخر مع الحفاظ على الترابط الوثيق بين فقرات الخطبة.

ي ـ وحدة الموضوع: وهذه من جل سمات الخطابة وعامل في نجاحها ببلوغ مقصودها فنرى التناسق بين الوحدات الجزئية في نص الخطبة وصولاً إلى التكامل الفني المنشود ففي الفقرات الأولى أخذ الرسول ﷺ إلى التذكير بالحياة والموت، والحشر والنشر، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ثم تذكير الجمع على ثوابت الإيمان وينتقل إلى حديث الثقلين الممهد لحديث الولاية موضوع الخطبة وأخذ البيعة وبعد الخطبة نزل قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي) فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي،

وهذا دليل على إتمام الفكرة واستيعاب المتلقي لها كان الأثر البالغ في تماسك هذه الخطبة.

وهذا التوازن يتأتى من الأسلوب القوي، والجميل، والشديد التأثير إذ يصل إلى الأعماق ويمتلك زمام العقل والوجدان، ويهذب الطباع الجشعة بالحجة والبرهان مدللاً عليه بالآية والأدلة من أحاديث صائبة في أحقية الإمام علي عليه السلام بالولاية دون سواه.

ك ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم: بألفاظه ومعانيه وصوره وأسلوبه كيف لا والقائل هو الذي نزل الله على صدره القرآن الكريم فهو الذي لا ينطق عن الهوى وقد علمه شديد القوى فجاءت ألفاظه ومعانيه إسلامية خالصة لا تشوبها شائبة ونابعة من صور القرآن الكريم ولعلنا إذا تمعنا فيها رأينا صوراً لآيات قرآنية استشهد بها رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله فالشهادة، والساعة، والجنة والنار، والحق والباطل، والقرآن والولاية وهذه وغيرها إنما هي ألفاظ اشتملت في سياقه على صور قرآنية، قد تضمنتها الخطبة المباركة.

ل ـ الأسلوب العاطفي والتأثيري: وهو من ميزات النثر الفني إذ يهدف إلى إثارة العواطف وهذا يحتاج إلى أسلوب خاص يطلق عليه بالأسلوب العاطفي التاثيري ومن ركائز هذا الأسلوب الاتكاء على الأسلوب الإنشائي باستعمال صيغ النداء ولاسيما المحذوفة وهو أبلغ ولاسيما بتكرار قوله (أيها) المسبوق بنداء محذوف والتعجب الضمني الذي تتضح صوره من أسلوب الاستفهام التقريري الذي بدا واضحاً في الخطبة فضلاً عن الشرط والجزاء في قوله صلى الله عليه وآله: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه) والشرط يفتح آفاقاً أمام النص في ذهنية المتلقي وتكرار الدعاء في النص يلقي ارتياحاً لدى المتلقي بأن النتيجة في صالح المتلقي ولاسيما أن الدعاء يصدر من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

فضلاً عن خطورة الأمر وفداحة من يتركه فنراه يكرر ذلك بقوله صلى الله عليه وآله: (اللهم) ولاسيما بعد إعلان نص الولاية فقال صلى الله عليه وآله: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب).

واستخدم أيضاً النفي بـ(لن) وهذا أفاد التأبيد أي تأبيد النفي ليؤكد حقيقة تلازم القرآن والعترة عليهما السلام فقال صلى الله عليه وآله فيها: (أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) ليؤسس للمعنى الجديد بعد أن أكد استمرار النفي في الافتراق وهذا المعنى هو إثبات الولاية لعلي عليه السلام، ومن ركائز هذا الأسلوب البراعة في استعمال ألفاظ ذات إيحاء قوي مؤثر في النفس بجرسها وإيقاعها مثل: (اللطيف) و(أنبأني) و(يعمر) و(أوشك) و(أدعى) و(بلغت) و(نصحت) و(جهدت) و(الساعة) و(الثقل الأكبر) و(الثقل الأصغر) و(الثقلين) و(اعلم) وغيرها.

م ـ السجع: ليس السجع من الظواهر الفاشية في خطب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلا ما ندر دعا إليها الإيقاع وجمالية التصوير الفني، إذ كانت خطبه على السليقة والطبع بعيداً عن التكلف والتصنع،

والسجع في عصر صدر الإسلام الأول مستكره لأن كهان الجاهلية كانوا يحكمون بالأسجاع، فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بها، ولبقيتها فيهم.

وأورد فيها قليل منه (نحمده ونستعينه) و(نؤمن به ونتوكل عليه) و(أنفسنا وأعمالنا)و(بلغت ونصحت وجهدت)و(والاه وعاداه) و(أحبه وأبغضه) و(نصره وخذله).

ن ـ المؤثرات البيانية والبلاغية: وهي من كماليات النص الأدبي ولاسيما الخطابي شرط أن لا تكون متكلفة، لأن في ذلك تصنع في النص، ونحن نتحدث عن خطب الرسول الأعظم محمدﷺ فإننا نتذكر أنه أفصح العرب وخير من نطق بالضاد وهو الذي تناقل الناس القرآن من شفتيه.

وقد ورد شيئ منها في نص الغدير حيث ورد التشبيه في قولهﷺ: (إلا مثل نصف عمري) و(فيه أقداح عدد النجوم) أي تعدد النجوم وهذا التشبيه يفتح في ذهنية المتلقي آفاقاً رحبة في تشبع النص وكذلك الجناس في قولهﷺ: (فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا)، والطباق في قوله: (الأكبر) و(الأصغر)، و(تقدموهما) وتقصروا عنهما)، و(أحب) و(أبغض)، (أنصر) و(أخذل)، والمقابلة في قولهﷺ: (وال من والاه) و(عاد من عاداه).

والتكرار إذ ردد الرسول الأكرمﷺ عبارة (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ثلاثاً وفي رواية ابن حنبل أربعاً، والتكرار هنا مفيد لتأكيد ضرورة تنفيذ هذا الأمر ولاسيما أنه قالﷺ آخراً: (ألا فليبلغ الشاهد الغائب) وهذا قبل تفرق الجمع، لترسخ الولاية في نفوسهم وقد يعلم أن حل هذا الجمع لما يتغلغل هذا الأمر في نفوسهم.

ونلحظ تقسيماً وتفصيلاً في الخطبة تتابعاً للوصول إلى موضوع الخطبة وفيها: (أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون) وقولهﷺ: (إن اللّه مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه).

فضلاً عن التوكيد بالجملة الإسمية وإن وغيرهما وخاتمة الأمر أن خطبة الوداع تعد الهامة من خطبه الشريفة التي اعتلى بها صهوة البلاغة والبيان، وكما تقدم لا يمكن لأي باحث يدرس الأدب الإسلامي ـ أن يغفل هذه الخطبة دون المرور عليها لما بث فيها (سلام اللّه عليه) من موارد قيمة في شتى وجوه الحياة.

س ـ الخاتمة:

والخاتمة سنها الرسول الأكرمﷺ للخطابة الإسلامية وأصبحت تقليداً معروفاً يحتذي الخطباء بهديه وهي أما أن ينهي الخطبة بالدعاء لهم أو بنصوص كريمة من القرآن الكريم وبلفظ السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته وفي هذه الخطبة دعا لهم ولعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فقالﷺ: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب) جاعلاً الدعاء مقصوراً على الموالاة ■

قدسية المرأة ومكانتها

بين التشريع الإسلامي والقانون الوضعي

• أ. د. الشيخ صاحب محمد حسين نصار
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع قبل الولوج في موضوع الرد على ما يثار من مسائل تخص المرأة أحاول عرض الآتي:

أولاً: الإسلام عالج عالم الأسرة وما يرتبط بها معالجة دقيقة وحكيمة واهتم بها أكثر من غيرها من المسائل التي تخص المجتمع الإسلامي، لأنها نواة المجتمع وتحوي قطبين مهمين ألا وهما الآباء والأمهات، فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع وعم الخير والاستقرار وإن فسدت فسد المجتمع وعم الشر، تتميز معالجة الإسلام بالنظرة الصائبة للحاضر والمستقبل لما فيه الهناء والسعادة والاستقرار، وإن التشريع الإسلامي لا يتماشي مع العصر فحسب، بل هو واضع حلول العصور لأن مصدره خالق العصر وإنه من العليم الخبير لقوله عز من قائل (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)[1].

لذا تجد الدستور الإلهي جل أحكامه تخص وتتعلق بنواة وأساس المجتمع ألا وهي الأسرة. فقد أثبت العلم الحديث فائدة عظيمة وأهمية لما ورد من معالجات وحلول من خلال الآيات الكريمة للمسائل المهمة التي تخص الأسرة كمدة الحمل والحضانة والرضاعة وعدة الطلاق وعدة الوفاة

وتعدد الزوجات ومحرمات الزواج والوصية والوصاية وغيرها الكثير الكثير فقد وردت فيها نصوص تم التأكد من صحتها وتوثيقها بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام.

ثانياً: ما يتعلق بالتشريع الدستوري: إن وثيقة الدستور تمثل البناء الفوقي في الجانب التشريعي والذي تتمحور حوله باقي القواعد القانونية بل تستمد مشروعيتها وإلزاميتها منه.

إن الأسرة هي الأساس والمرتكز في بناء المجتمع، فكيف إذا كان عماد مفرداتها ومرتكزاتها من الكتاب العزيز الذي هو الدستور الإلهي، فكان لابد لأصحاب الاختصاص (من فقهاء وقانونيين دستوريين) من أن يأخذوا دورهم الريادي في التثقيف الدستوري وإيضاح بنوده وفقراته لضرورة معرفة الشعب بكافة فئاته المختلفة وبالخصوص المرأة التي هي عماد المجتمع لأنها الأم والأخت والبنت والزوجة والمربية والموجهة والمدرسة، فهي العنصر الفاعل لبناء مجتمع سعيد تسوده الألفة والحب والوئام.

إذن الحديث ينصب على المرأة في التشريع الإلهي وفي الدستور الرسمي وكيف ينظر إليها، وكيف يطبق ما يرى صالحاً لها ولكيانها وموقعها وشخصيتها في المجتمع، وديمومتها ككيان له وجوده الفاعل والحيوي في المجتمع.

أما الآن فنحاول العرض للنظرية الإسلامية الإلهية لكيان المرأة وحقيقة الرؤية الإسلامية الصائبة لها.

تنتظم النظرية على ثلاثة أسس

في النفس والمجتمع

أساسية هي:
الأساس الأول: الأصالة الإنسانية.
الأساس الثاني: المساواة في الحقوق.
الأساس الثالث: التمايز الوظيفي.
ونحاول الآن توضيحها وكما يأتي:

الأساس الأول: الأصالة الإنسانية.

إن الأصالة الإنسانية ليست لعنصر الذكورة ولا لعنصر الأنوثة وإنما الأصالة للإنسان، والإنسانية موجودة في المرأة كما هي موجودة في الرجل وهذا هو أساس الأصالة ومرتكزها لقوله تعالى: (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**)[٢].

ويورد الشهيد مطهري: (أن المرأة والرجل في نظر الإسلام إنسانان كاملاً الإنسانية ويتمتعان بنفس الدرجة من حقوق الإنسان، إن للإسلام فلسفة خاصة حول علاقات وحقوق المرأة والرجل في الإنسانية، وتختلف عما كان سائداً قبل أربعة عشر قرناً، وتختلف عما هو سائد في العالم هذا اليوم)[٣].

الأساس الثاني: المساواة في الحقوق.

وأنا أريد أن أهم بالكتابة استحضرني شيئ مهم لمسألة من مسائل علوم القرآن هي أسباب النزول بخصوص المرأة وبالذات (النساء المهاجرات) وهو ما أورده الحاكم في المستدرك حيث جاء ما نصه: (إن أم سلمة قالت يا رسول الله، لا أسمع أن الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله جل شأنه: (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى...**)[٤] وكذلك أخرج الحاكم في نفس المصدر. قال عز من قائل بهذا الخصوص: (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات...**)[٥].

إن هذه الآيات الكريمات وغيرها بشأن المرأة، فضلاً عن الآيات الأخرى بخصوصها في مناسبات ومجالات أخرى منها قوله تعالى: (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...**)[٦] ولو نظرنا إلى الآية التي بعدها مباشرة نجد التأكيد واضح المعالم بشأن المرأة والرجل (**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها...**)[٧] ولبيان مراد الآية الكريمة: فكما أن المؤمن ولي المؤمنة كذلك المؤمنة ولية المؤمن، وهذا هو ما نسميه اليوم بالمشاركة السياسية والمشاركة الاجتماعية وغيرها.

فقد أورد العلامة الشيخ محمد اسحاق الفياض بخصوص حقوق المرأة ما نصه: (لا تستثنى المرأة من مساواتها بالرجل في الحقوق الاجتماعية والأدبية والفكرية وحرية التعبير وإبداء الرأي، والدخول في كافة الاستثمارات والأنشطة المالية في الأسواق والبورصات العالمية

وحيازة كافة الثروات الطبيعية وإحياء الأراضي البائرة وغيرها، كل ذلك من الحدود المسموح بها من قبل الشرع)[٨].

الأساس الثالث: التمايز الوظيفي.

على الرغم من الأصالة الإنسانية والمساواة الحقوقية فإن هناك أساساً آخر هو التمايز الوظيفي وهو ناشئ من التمايز التكويني، بين الرجل والمرأة وذلك بطبيعتها الفسيولوجية والسيكولوجية التي يجعلها تمارس مهامها التي تختلف عن المهام التي يقوم بها الرجل إن هناك اختلافات تكوينية بين الرجل والمرأة ينشأ عنها امتيازات وظيفية وهذا التمايز الوظيفي ينشأ عنه تمايز تشريعي كما يذكر القرآن العظيم وكما يأتي:

١. في الميراث:

حيث إن نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، لقوله عز من قائل: (**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ...**)[٩] إن هذا في الحقيقة انطلاق من التمايز التكويني والتمايز الوظيفي فطالما كان الرجل في موقعه العام في التشريع الإسلامي معيلاً بالمرأة إذن من الطبيعي أن يكون حقه المالي أكثر من حقها[١٠].

٢. في القضاء:

حيث إن شهادة المرأة دون شهادة الرجل لقوله تعالى: (**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ...**)[١١].

هنا يشير الفياض إلى توضيح وبيان هذه الآية بخصوص المرأة وشهادتها فيقول ما نصه: (ولكن شهادة المرأة في جميع القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تعادل شهادة الرجل ولا فرق بينهما وكذلك صوتها كصوت الرجل، وإن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فهي إنما تكون في موارد خاصة، وهذا غيره لا يعني أن الرجل له فوقية على المرأة ودون أن تتخلى عن ما ورد للنص الخاص في الشرع)[١٢].

ومن الجدير بالبيان والتوضيح والعرض إن هذا التمايز الوظيفي تمارسه كل القوانين العالمية اليوم بشكل وآخر، وكذلك يجب الإشارة إلى مسألة مهمة في المجتمع غير الإسلامي لا توجد مثل هذه المسؤولية ولا مثل هذه العلاقة، أما في الواقع القائم على أساس إسلامي فإن المسؤولية المالية وضعها الإسلام في عاتق الرجل وبالتالي فإن من الطبيعي أن يكون نصيب الرجل في الميراث أكثر من نصيب المرأة.

إن الإنسان اليوم، المثقف الواعي المدرك يستوعب الحالات والأبعاد منها إن التمايز التكويني والوظيفي الذي عالجه التشريع الإسلامي معالجة رصينة مبنية على الأدلة والأسس القرآنية وقد نتج منه تمايز تشريعي لكن الأصالة الإنسانية فإنها تبقى واحدة وتبقى المشاركة الحقوقية السياسية واحدة أما بخصوص الآية الكريمة (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ...**)[١٣] المراد من الآية الكريمة: (بشأن منزلة

الرجل داخل الأسـرة هي أنه قوام على المرأة، وإنما تقتصر قوامة الرجل على المرأة فـي الحياة الأسـرية وما يرتبط بهـا من حقوق عليـه كالنفقة بما يليق بشأنها وكرامتها وحالها من المسكن والملبـس والمعيشـة معه بسـلام وأمن وغير ذلك من الحقـوق، أما في خارج الأسـرة فلا فـرق بين الرجـل والمرأة في جميع أدوار الحياة العامة وشـؤونها مـن الحيـاة السياسـية والاقتصاديـة والتعليمية)[١٤].

ولكـن علـى المـرأة المسـلمة أن تلتـزم بالمبـادئ الإسـلامية، وتحافظ علـى كرامتها وشـرفها وعفتها، فإذا كانت المرأة المسلمة كذلك جاز لها التصـدي لكل عمـل لا ينافي واجباتها في الإسلام.

ولا يتصور شـخص منـا أن الرجل أفضـل مـن المـرأة فـي الدنيـا أو يوم القيامة، هذا التصور يصطدم مع الحقيقة القرآنيـة لقوله تعالى: (**يَـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَـرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُـوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْـدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[١٥].

ولا يتصور أحدَ أن الرجل في الدنيا لـه دور فـي بنـاء المجتمـع أكبر من دور المـرأة، بينما القـرآن صريح في المساواة لقوله عز من قائل: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ..**)[١٦] أمـا بشـأن فقه القانـون الفاعـلَ لتلبية حاجات العصر وتوسعه وشعبه وتطوره، فإنه المسـتمد من القانون الإسـلامي، وعندما نريد أن نعقد مقارنة بين قانون الأحوال الشـخصية المرقم (١٨٨) في (١٩٥٩) المعدل[١٧]، وبين المادة (٤١) من الدسـتور الدائم، وعند المقارنة نجد، إن قانـون الأحوال الشـخصية العراقي ليس كمـا يتذرع المدافعـون عنه بأنه (قانون موحد للأحوال الشخصية)[١٨].

تعقيب ومناقشة:

إن تركيبة الشعب العراقي المميزة بالتعدديـة العرقية والدينيـة والمذهبية مصحوبـةً بتباين العـادات والتقاليـد والقيـم، لـكل طيـف منهـم وخاصة القبائـل والعشـائر يجعـل مـن تطبيـق الأحوال الشـخصية لكل فئة حسب ما يتناسـب مع ما يتبعونه، مسألة في غاية الخطـورة تنعكس بشـكل أساسـي علـى حقـوق العراقيين جميعـا وتضع الفرد والأسرة في ضوء مواد وفقرات مختلفـة الاتجاهـات وبالتالـي يمنـع

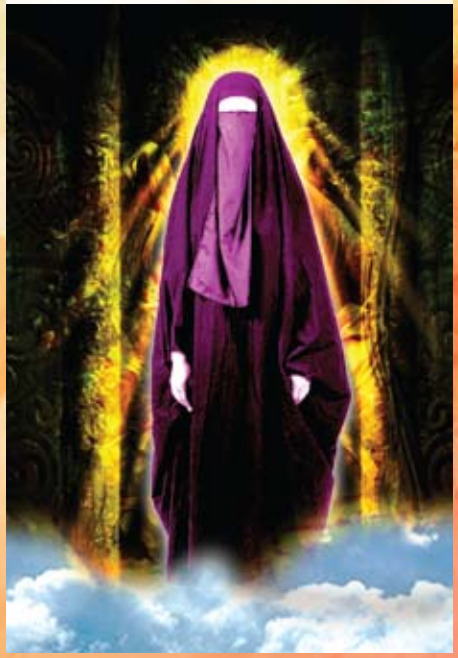

الانصهار والاندماج ضمن إطار وبوتقة وطنية واحدة تجمع كل العراقيين ناهيك عما تخلقه من مشاكل أسرية وبالنتيجة تلعب دوراً كبيراً في توسيع فجوة الانتهاكات لأبسط حقوق الإنسان الواردة في جميع المعاهدات والاتفاقيات التي صادق عليها العراق، فضلاً عن أنه في حالة استقراء متفحص لهذا الرأي نجد أنه يحتوي تهافتاً وتناقضاً ضمن طياته. وبالتالي فإن ما ورد في المادة (٤١) من الدستور الدائم هو الحل الأمثل والناجح للأسرة بكافة أحوالها.

أما مسألة تعدد القوانين وبالتالي تعدد واختلاف أحكام القضاء، فإنها لم تكن في يوم من الأيام مدعاة إلى تمزيق وحدة البلاد بل على العكس فتنوع القوانين واختصاصها لكل فئة بمذهبها طبقاً له واختلاف أحكام المحاكم أدعى إلى استقرارها وسكينتها في تنوعها، بملائمة الفئات المتنوعة التي يتألف منها البلد وهذا أوفق مع شعارات الديمقراطية والتعددية وأكثر اتساقاً مع إعلانات حقوق الإنسان الواردة في جميع المعاملات الدولية لأنها جميعاً دعت إلى احترام حرية العقيدة.

وأود أن أختم حديثي هذا بما أجابت به السيدة (هدى شعراوي) عندما طلب منها أن ترفع صوتها بالمعارضة لنظام الإرث بالنسبة للمرأة في الشريعة الإسلامية أجابت بما مضمونه (ولماذا أفعل هذا والإسلام قدم هذا القانون لصالحي فإن نفقاتي وجميع مصروفاتي في عاتق ولي أمري ومع ذلك فأنا أقبض نصف حقه في الإرث دون أن أصرف فلساً واحداً).

وبالختام نسأل الله العلي القدير، أن يجعل هذا البلد آمناً، وأن يرفل بالخير والأمان والعطاء رجالاً ونساء وبجميع مكوناته وأطيافه، إنه نعم المولى ونعم النصير ■

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٩.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣) نظام حقوق المرأة في الإسلام، الشهيد مطهري، ص٣٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٨) حول موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي، آية الله العظمى سماحة الشيخ إسحاق الفياض، ص٣١-٣٢.
(٩) سورة النساء، الآية: ١١.
(١٠) محاضرات في الفكر الإسلامي، السيد صدر الدين السيد حسن، ص٦٧.
(١١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(١٢) حول موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي، آية الله العظمى سماحة الشيخ إسحاق الفياض، ص٣٥.
(١٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(١٤) موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي، آية الله العظمى سماحة الشيخ إسحاق الفياض، ص٣٧ وما بعدها.
(١٥) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(١٦) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(١٧) ينظر: قانون الأحوال الشخصية (١٨٨) في (١٩٥٩)، مطبعة أسعد، بغداد، عام ١٩٦٩م.
(١٨) ينظر: ما عرض من آراء لبعض المتفقهين قانونياً، وغير المطلعين على تعاليم السماء السمحاء من خلال تدواتهم.

الإمام محمد الباقر(ع).. تاريخ وضّاء

• السيد أحمد الحكيم

ينابيع لا يخفى على كل إنسان أن أهل البيت(عليهم السلام) هم أشرف وأفضل المخلوقات عدا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) كما أن بهم تهتدي الأمم الجاهلة.

ولعل تعاليمهم وإرشاداتهم تدل على أنهم امتداد النبوة التي كانت خاتمة الرسالات السماوية.

ومن أهم ما امتاز به عصر كل إمام عن الآخر شدة الجور والظلم عليه أو ضعفه بحسب اختلاف ظروف الحال.

لكن ما امتاز به الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام) هو معاصرته للأحداث الرهيبة التي لم تدع لكل ذي عقل أن يفكر كيف ينجو بنفسه من حر السيوف، والمآسي التي واجهها. إلا أن الإمام الباقر(عليه السلام) عاصرها وحاول أن يكون الدرع الحصين للأمة الإسلامية خصوصاً أحداث كربلاء الرهيبة، وما بعدها من استباحة المدينة والقتل الفظيع فيها وما تلى ذلك من أحداث.

ولأجل هذا فإننا لا نحاول الخوض عن هذا الحديث وإنما حديثنا عن خلق الإمام الباقر(عليه السلام) أمام الجاهلين والمضلين.

افتراءات

لم يعرف الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام) في المجتمع الإسلامي سوى الأخلاق الكريمة، والصبر على المكاره. والمحبة في قلوب المؤمنين.

كل ذلك لم يمنع ذوي الأهواء والجهالات أن يطعنوا في أخلاقه وألقابه التي عرف بها، فقد ذكر التاريخ أن نصرانياً قال للإمام الباقر عليه السلام: أنت بقرة؟ قال عليه السلام: لا أنا الباقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال الإمام عليه السلام: ذاك حرفتها.

قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية؟

قال عليه السلام: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك.

قال: فأسلم النصراني[1].

وهذا المشهد يعبر عن مدى أخلاق الإمام عليه السلام وتحليه بالصبر على من اعتدى عليه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإمام الباقر عليه السلام هو امتداد لتلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين.

ثم اتهام النصراني للإمام عليه السلام للانتقاص من حرفة والدته الشريفة التي لم يعرفها الجهال. بل وحتى إن عرفها هؤلاء فإنهم لا يعرفون مدى ارتباطها بالله تعالى. وما منحها لها من الكرامة والرفعة.

حيث روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت أمي قاعدة عند جدار، فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة، فقالت له: لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط، فبقي معلقاً حتى جازته، فتصدق عنها أبي بمائة دينار[2].

كما وأن حفيدها الإمام الصادق عليه السلام يقول عنها: كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن مثلها[3] فهي والسيدة مريم عليها السلام بمنزلة واحدة.

وهؤلاء يطعنون فيها ويحاولون الإنكار من تربيتها لأولادها لإنشاء جيل يهدي بهم الظالمين والضالين منه ومن غيره.

وإتهامه للإمام عليه السلام بأنه ابن السوداء الزنجية البذيئة، يبدو أن حيلته لم تنفع في مواجهة الإمام عليه السلام سوى بالأكاذيب والافتراءات على والدته الصديقة ولعل اتهامه للصديقة جاء نتيجة أفكار وأوهام طاشت للنيل من الإمام عليه السلام فلم يعرف من بنت الحسن عليه السلام إلا أن تكون حرة وتعيش حرة وليس مثلما يدعيه النصراني الذي يعيش أسيراً في صومعته ليمتنع عما أحله الله تعالى له حتى أنه لا يعرف الزنجي من غيره.

ولم يعرف من أولاد الحسن عليه السلام أحد بالبذاء، فهم الذين يعلمون المجتمع الإسلامي الصدق في القول والعمل والإيثار على النفس والتواضع.

ولم يكن هذا النصراني سوى أحد من نالتهم رحمة الإمام عليه السلام وأنقذتهم من ضلالهم حتى يدخلوا في كهف الإسلام.

وموقف لهشام بن عبد الملك الذي حاول النيل من الإمام عليه السلام ومن لقبه أيضاً حيث أن هشاماً قال لزيد بن علي عليه السلام: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال زيد عليه السلام: سماه رسول الله صلى الله عليه وآله باقر العلم وأنت تسميه بقرة لقد اختلفتما إذاً وذكر شعراً[٤].

ما الغرض لاتهام زيد بأن الإمام محمد عليه السلام يدعى بالبقرة؟ وما الذي دعاه إلى ذلك؟ لقد كان هشام وغيره يسمعون جابر الأنصاري رضي الله عنه يقول للإمام عليه السلام: يا باقر العلم. يا باقر العلم ويرددها في طرقات المدينة على مرأى ومسمع من المسلمين، وهو يعلم أن جابر لم يكن من الذين اختلطت أفكارهم حتى أصبحوا يدعون ما ليس في حقوقهم، كما أنه يعلم أن جابر الأنصاري آخر من بقي من صحابة النبي صلى الله عليه وآله الذين اختصوا بأهل البيت عليهم السلام والملازمين لهم.

ويعلم جيداً أن هذا اللقب لم يأت من فراغ أو ابتداع من جابر نفسه، وإنما هو لقب ذكره له الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لولده ولكافة المسلمين، ويوشك جابر أن يدركه، ولابد من أن يبلغه له، ويدرك هشام أيضاً أن هذا اللقب هو الميزة التي امتاز بها أهل البيت عليهم السلام نتيجة لأفعالهم وأخلاقهم التي تطغى في المجتمع الإسلامي كي يكونوا العون لإنقاذ الأمة من الجهلاء والمخادعين ورفع الغشاوة عن أبصارهم.

ثم إتهامه لزيد بأخيه كونه (بقرة) يبدو أن الشجاعة والجرأة لم يتحلّ بها هشام حتى أعيته الحيل وضعف بصيرته ومحدودية عقله، كما وأن هذا اللقب هو فخر لأهل البيت عليهم السلام وللإمام محمد عليه السلام كي يكون شوكة في أعين الحاقدين والحاسدين.

الصبر على المكاره

لم يعرف من الإمام أبي

جعفر عليه السلام إلا الصبر والحلم على الشدائد والأهوال، بل أن المسلمين كانوا يلتجئون إليه عند الملمات والأخطار، لكن ما شاهده هؤلاء من الإمام عليه السلام لم يكونوا يتصورونه، فقد كان قوم أتوا أبا جعفر فوافقوا صبياً له مريضاً فرأوا منه اهتماماً وغماً وجعل لا يقر.

فقالوا: والله لئن أصابه شيء إنا لنتخوف أن نرى منه ما نكره، فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه فإذا هو - الإمام عليه السلام - قد خرج عليهم منبسط الوجه في غير الحال التي كان عليها، فقالوا له: جعلنا الله فداك لقد كنا نخاف مما نرى منك أن لو وقع أن نرى منك ما يغمنا.

فقال عليه السلام لهم: إنا لنحب أن نعافى فيمن نحب فإذا جاء أمر الله سلمنا فيما يحب[٥].

فما ذكره الإمام عليه السلام كي يتعلموا منه أنه إذا جاء أمر الله تعالى فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، كما أنه لابد من الرضا بقضاء الله تعالى وقدره والتسليم به.

ولابد من ذكر شيء وهو أن السخط وعدم الرضا بقضائه لا ينفع العبد لأنه سوف يحبط ثوابه إن كان له على عمله أجر في الآخرة، بل قد يؤدي عدم الرضا إلى الكفر وهذا مما يوجب إدخاله النار الكبرى، والإمام الباقر عليه السلام يذكر لأصحابه ما ينبغي فعله وهو الشكر على كل عافية أو نعم يهبها الله إلى العبد كي يختبر العبد ما يفعله جراء نعمه، فإن كان شكوراً ازدادت عليه وإن جحدها منعها عنه.

النصيحة

قد يظن بعض المسلمين أن الإمام محمد الباقر عليه السلام من الذين يغفلون عن الآخرة لأجل انشغالهم بالدنيا، وقد يتوهم هؤلاء أنهم يمكن التعلم من جراء تجارب الحياة التي جعلتهم من ذوي الخبرة، وهؤلاء الذين اعتقدوا أنه يمكن نصح الإمام أبي جعفر عليه السلام هو محمد بن المنكدر حيث يقول: ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً لفضل علي بن الحسين حتى رأيت محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني.

فقال أصحابه: بأي شيء وعظك؟

قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي، وكان رجلاً بديناً وهو متك على غلامين له أسودين أو موليين، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أشهد لأعظنه، فدنوت منه وسلمت عليه، فسلم عليَّ ببهر وقد تصبب عرقاً.

فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال.

قال: فخلى عن الغلامين من يده ثم تساند، وقال الإمام عليه السلام: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى أحق بها عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله. فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني[٦].

وهذا الموقف يظهر أن محمد بن المنكدر كان غرضه هو إرشاد من لم يطلب منه الرشاد التبرع بالنصيحة لمن لم يطلب النصح منه. كما أن اعتقاد محمد بن المنكدر أن هذا الشيخ من شيوخ قريش كان يطلب الدنيا في هجير الصيف اللاهب والدنيا معرضة عنه حتى في هذا الوقت.

ثم إبداء النصيحة من قبل ابن المنكدر يذكر ابن السجاد عليه السلام بالآخرة وملك الموت على الأعقاب، بل في كل لحظة لم يتوقعها الإنسان، وهذا مما يدعوه إلى التوقف عن طلب الدنيا وما تجلبه له من منفعة، لكن ابن المنكدر اصطدم بمن عندهم أم الكتاب، فكان إبداء النصح لا يحتاجه الإمام محمد عليه السلام حتى يستنصحه، وإنما رد النصيحة إليه وذكره بأن الذي يطلب الدنيا ليس لأجل نفسه وإنما لمعيشة عياله كي لا يطلبوا من المتطفلين والمغفلين رغيف العيش الذي يمتزج بالمن والأذى ورئاء الناس، كما وأن ملك الموت الذي هو عالم بكل إنسان وفي أي موضع يجده، لو جاء للإمام الباقر عليه السلام لوجده في طاعة من طاعات

الله تعالى وهو العمل.

وهذا تذكير لابن المنكدر أن العمل قد أمر به تعالى في كتابه الكريم بقوله: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

ولم يكن الإمام عليه السلام يعرف المعصية كما عرفها ابن المنكدر حينما حاول وخرج في ذلك الوقت اللاهب كي يتتبع عثرات المسلمين ويحاول أن يرشدهم ويكون من ذوي الأخلاق الحميدة، وهذا ما أبداه محمد بن المنكدر حينما قال للإمام عليه السلام: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني، فإن أعظم ما وعظه به الإمام عليه السلام لمحمد هو ليس كل من لم يطلب النصيحة يحتاج إليها وكل من طلب الرشد يعمل به.

عبادة الإمام[٤]

وعبادة الإمام الباقر عليه السلام امتداد من عبادة أجداده الطاهرين (صلوات الله عليهم) وأبيه السجاد عليه السلام الذي كان يلقب لكثرة سجوده وحسن عبادته فكان يسمى بزين العابدين، ولعل هذه الألقاب التي عرف بها أولاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هي مما يميزهم عن سائر المسلمين أو حتى سائر البشر، لقد كانت عبادتهم مميزة لأنهم يعبدون الخالق حق عبادته ولا يطلبون منه سوى العفو والغفران، بل لم يطبوا منه شيئاً وإنما كانت نعمه تعالى على سائر البشر.

ومن أبرز صور عبادة الإمام الباقر عليه السلام ما كان يتحدث عنه مولاه أفلح حيث يقول: خرجت مع محمد بن علي عليه السلام حاجاً، فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته، فقلت: بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلاً، فقال لي عليه السلام: ويحك يا أفلح ولِمَ لا أبكي لعل الله تعالى أن ينظر إليَّ منه رحمة فأفوز بها عنده غداً، قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينيه[٧] فما ذكره الإمام عليه السلام لعبده هو ما ينبغي للمسلم اتباعه كي يحصل على غفران ذنوبه ولئلا يغتر بما يفعل، فإن أعماله لا تساوي جزءاً مما منحه تعالى لعبده من النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى.

وهناك صورة أخرى لدعاء الإمام عليه السلام فقد كان يقول لولده جعفر عليه السلام كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه: (أمرتني فلم أأتمر، ونهيتني فلم أنزجر، فها أنا عبدك بين يديك ولا أعتذر)[٨].

فهنا اعتراف صريح مما يفعله العبد اتجاه خالقه وما يمكن ذكره والإقرار به كي يعفو عنه.

ومن صور غفران الذنوب هو ما كان يفعله الإمام الباقر عليه السلام فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمنوا[٩]، لأن النساء والصبيان من الضعفاء الذين كان يوصي بهم القرآن الكريم بقوله تعالى: (والمستضعفين من النساء والولدان...) وهي أصدق التعابير التي يطلقها الإمام عليه السلام كي

تتخذ سبيلاً إلى ارتفاع الغموم عن سماء المكروبين، ولتجعلهم دوماً محتاجين إلى هؤلاء ولا يتجبروا مادام هنالك طريق إلى حله.

وما كان ذكر الإمام عليه السلام إلا ملازماً له كملازمة الظل للشخص، وهذا ما يجب فعله لدى كافة من ينعمون بالحياة ولا يحاولوا أن يتغافلوا عن هذه النعم التي منحها إياهم تعالى، فكان من أهم موارد تذكر تلك النعم هو ذكره تعالى، حيث كان الإمام أبو جعفر عليه السلام يرددها في كل آن ومكان، فقد كان الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام يقول: كان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله تعالى وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرأ منا بالذكر[١٠].

لأن ما يأكله من نعمه تعالى وما أعطاه من الحياة وطلاقة اللسان هي أحدها، وما يرشد الإمام عليه السلام إلى قراءته هي من مطمئنات القلوب مما يوجب انصراف وساوس الشياطين عنه، ويربط قلبه به تعالى ولا يكون عرضة للأهواء وأسيراً للشيطان.

علمه

لم يكن يخفى علم الإمام السجاد عليه السلام حتى يخفى علم الإمام الباقر عليه السلام، وإنما كانت هنالك ظروف تفرضها السلطة الحاكمة على الشعب مما يوجب ذلك إشاعة علم الإمام عليه السلام وأخرى استتار علمه ومحاولة لطمس ذلك الصوت وعدم الأخذ به لئلا يوجب الافتتان.

لكن هذه المحاولات لم تنفع بعدما ظهرت من قبل المسلمين وكان في طليعتهم العلماء، فكان منهم عبد الله بن عطاء المكي حيث كان يقول: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر

منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه.

ومن الأصحاب كان جابر الأنصاري إذا روى عن محمد بن علي شيئاً قال: حدثني وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليه السلام[11]، وأما محمد بن مسلم فهو كان يقول: ما شجر في رأيي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عن ستة عشر ألف حديث[12].

وكان يقول محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: سمعته يقول إنا علّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء[13]، كل هذه الأقوال تنبأ أن شياع ذكر الإمام عليه السلام وما كان يحمله من علم لم يكن محدوداً، بل كان محيطاً في كل المسائل التي طلبها أصحابه أو لم يطلبوها كما أنه لم يكن يحتكر علمه لنفسه وإنما لإنقاذ هؤلاء من حيرة الضلالة كي لا تتقاذفهم الأهواء.

إنفاقه

والإنفاق عند الإمام محمد الباقر عليه السلام كان في السراء والضراء بحيث لم يكد أحد يدخل على دار الإمام عليه السلام إلا ويستقبله ويكرمه بأحسن ما يكرم أضيافه، وما يخرج منه إلا وقد امتلأ سروراً.

هذا ما تحدثت عنه مولاته سلمى حيث تقول: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم، فأقول له في ذلك: ليقل منه، فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الأخوان والمعارف.

وكان يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف، وكان لا يمل من مجالسته أخوانه، وقال عليه السلام: اعرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك عليه السلام.

فما ذكرته سلمى هو بعض ما شاهدته بحيث لا يمل من صلة الأخوان ويحاول أن يبعث روح المحبة بينهم، كما وأنه يحاول أن يخلق التلاقي بين المؤمنين كي لا يطغى الجفاء والقطيعة فيما بينهم، ومن أهم ما يسمو به الإمام أبو جعفر عليه السلام ويجعله سبيلاً إلى المؤمنين هو اتخاذ المال وسيلة للارتباط فيما بينهم ولا يجعله مصدر فرقة.

وهذا ما كان يحاول دفعه كما ذكره له الحسن بن كثير قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام الحاجة وجفاء الأخوان، فقال: بئس الأخ أخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً.

ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني[15]، فالفقر والغنى ليسا هما الميزان التي توزن بهما الأخوان وإنما بالأخلاق والمحبة في القلوب.

وذكر الإمام عليه السلام التقاطع في حال الفقر والاتصال حال الغنى وهي من مساوئ المجتمع وما يفكر به هؤلاء المسلمون، والذي طالما كان يحاول النبي صلى الله عليه وآله عدم خلق هكذا حالة في المجتمع كي لا يكون آفة ينفذ منها الشيطان.

وينبغي في كل عصر ومصر أن لا تخلق مثل هذه الحالة التي ذكرها الحسن بن كثير لئلا توجب إنشاء الطبقات فيما بينهم والتي نبذها الإسلام وجعل الميزان هو التقوى والتنافس على الدرجات العلى.

وكان من ديدن الإمام الباقر عليه السلام أن يبادر محبيه بالصلة قبل أن يسألوه إياها، فقد ذكر ذلك كل من عمرو بن دينار وعبيد الله بن عبيد بن عمير فقد قالا: ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام إلا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة ويقول: هذا معدة لكم قبل أن تلقوني[16].

فيا ترى لما لم يقتد المسلمون بهذا الإمام عليه السلام وبكل ما يفعله ويقوله؟ ولم لم تكن تلك الصفة والنفقة مورد ألفة ومحبة فيما بين المسلمين لا مورد وبالٍ وفرقة؟!.

الإمامة

ذكر التاريخ أن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وهو ما أنبأه النبي صلى الله عليه وآله جابراً بأنه يدرك الإمام الباقر عليه السلام ويبلغه السلام.

فلقد تحدث جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف في التوراة بباقر، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاري في بعض سكك المدينة، فقال: يا غلام من أنت؟ قال: أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال له جابر: يا بني أقبل، فأقبل. ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة، ثم قال: يا بني إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام، فقال: على رسول الله السلام مادامت السماوات والأرض وعليك يا جابر بما بلغت السلام.فقال له جابر: يا باقر! يا باقر! يا باقر! أنت الباقر حقاً أنت الذي تبقر العلم بقراً، ثم كان جابر يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه، فربما غلط جابر فيما يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيرد عليه ويذكره، فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله، وكان يقول: يا باقر يا باقر يا باقر أشهد بالله أنك قد أوتيت الحكم صبياً[17].

ما ذكره جابر ونقله المسلمون من قراءة السلام ليس بمسألة عابرة حتى لا ينبغي التأمل فيها وإنما يجب التفكر لماذا ينقلها جابر وتشيع بين أوساط المسلمين؟ وما هو المغزى من ذلك؟

الذي لابد من ذكره هو أن جابر الأنصاري من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين سمعوا حديثه ووعوه بحيث لا تخفى عليه خافية من إيصاله السلام إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، كما وإن هذا

المشهد يدل وبالدلالة القطعية أن شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحصل عن طريق الشبه فقط بل لأجل ما يمثله النبي صلى الله عليه وآله وما يجب أن ينطبق على حفيده.

ولابد من معرفة أن إيصال السلام للإمام الباقر عليه السلام يدل أنه الإمام بعد أبيه والذي يجب إتباعه وهذا ما نبأ عنه النبي صلى الله عليه وآله وحامل الأمانة جابر، ولعل ما كان ينطق به جابر وينادي: يا باقر! يا باقر! هو الذي يدل على مدى صدق امتداد الإمامة إلى الإمام محمد الباقر عليه السلام.

وإن الحديث يدل على مدى علم الإمام عليه السلام بحيث انه يذكر أنه يبقر العلم بقراً ويحاول توضيح ذلك بأنه لا يجرأ أحد من المسلمين أن يفعل ذلك إلا الإمام أبو جعفر عليه السلام بحيث تقع الحيرة والضلالة ولم ينقذهم إلا ابن الإمام زين العابدين عليه السلام إلى بر الأمان ولا يجعلهم تتلاطمهم الأهواء والضلالات.

والمشهد الذي ذكره جابر ما كان يتعلمه من الإمام عليه السلام لدليل واضح على مدى اهتمام جابر الذي سمع من النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي والإمامين الحسن والحسين والإمام السجاد عليهم السلام حتى يكاد يختص بالإمام الباقر عليه السلام كي يتعلم منه ما كان سمعه أو قرأه فينبهه على خطأه إن أخطأ ويوضح له ما كان مجملاً عليه أو متشابهاً.

وما كان استشهاده بأنه أوتي العلم صبياً إلا تعبير صادق عن الآية الكريمة التي ذكرت نبي الله يحيى عليه السلام بأنه أوتي العلم صبياً. فإن حفيد الإمام الحسين عليه السلام أوتي العلم صبياً، كما أنه لم تكن محض صدفة بل هو علم أنبأه النبي صلى الله عليه وآله مختص به أهل البيت عليهم السلام والإمام محمد الباقر عليه السلام أحد هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

والامتداد الطبيعي للإمامة في الاستمرار إلى آخر الدهر.

فيا ترى لماذا ينكرها المتجبرون ويحاولوا صرفها عن أهل البيت عليهم السلام إلى الظالمين؟! ■

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٨٩، نقلاً عن المناقب لابن شهراشوب ج٣ ص٣٣٧.
(٢) كتاب الدعوات، الراوندي.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢١٥.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٦، نقلاً عن عيون الأخبار، ج٢ ص٢١٢.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٣٠١، نقلاً عن الكافي، ج٣ ص٢٢٦.
(٦) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢١٥، نقلاً عن الإرشاد للمفيد، ص٢٨٤.
(٧) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٠.
(٨) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٠.
(٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٧، نقلاً عن الكافي، ج٢ ص٤٨٧.
(١٠) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٧-٢٩٨، نقلاً عن الكافي، ج٢ ص٤٩٨.
(١١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٣٠١، نقلاً عن الإرشاد للمفيد، ص٢٨٠.
(١٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٠.
(١٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٤.
(١٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٠-٢٩١.
(١٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٨٧-٢٨٨، نقلاً عن الإرشاد للمفيد، ص٢٨٤.
(١٦) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٨٨.
(١٧) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٢٥.

دلائل الإمامة لعلي(ع)

• منذر جواد مرزه

ينابيع اختلف المسلمون بعد وفاة النبيﷺ في أمور سياسية كثيرة، كان لها الأثر الكبير في ما جرى من تصدع بين المسلمين، ولعل أهم ما يمكن تشخيصه في هذا الجانب هو:

أولاً: اختلاف المسلمين فيمن هو أحق بالخلافة بعد الرسولﷺ، حيث أرادها المهاجرون لأنفسم لأنهم أول من صدق وآمن وهاجر، وفيهم القرابة والرحم، وأرادها الأنصار، حيث انهم الذين آووا ونصروا، وكلا الفريقين لم يكن على وجه حق.. واحتج بعض الصحابة بأن الخلافة لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك، وإنما هي لمن نص عليه الرسولﷺ في مواقع عديدة ونزلت بحقه آيات من الله العزيز الحكيم، كما اختلف المسلمون حول مقتل عثمان بن عفان والأحداث التي أدت إلى مصرعه، وقد حدد المؤرخون هذه الأحداث فمنها نفيه للصحابي الجليل أبي ذر إلى الربذة، وعطفه إلى من طرده النبيﷺ من المدينة وإرجاعه إليها وتقريبه له ولأقاربه من بني أمية وإغداقه الأموال عليهم وتعيينه لولاة غير مرغوب فيهم. وإتمامه الصلاة بمنى وأخذه الزكاة على الخيل وقد كانت معفوة في زمن الرسول الكريمﷺ وغير ذلك من الأمور

الأخرى التي أهمها تسليم القيادة لابن عمه مروان بن الحكم يلعب به كيف يشاء[1].

وقد شخص أبو ذر هذه الأحداث بقوله: (والله لقد حدثت أعمال لا أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله اني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وإثرةً بغير تقى، ومالاً مستأثراً به)، وقد أدى هذا إلى أن يذهب بعض طوائف المسلمين إلى وجوب منازعة الظالم الجائر ومعارضته، بينما ذهبت طوائف أخرى إلى الصبر على طاعة الجائر وهو أولى عندهم من الخروج عليه[2].

ثم اختلف المسلمون بموجب ما ترك التحكيم في صفين من أثر، وقد أدى هذا إلى اختلاف في مسائل عقائدية كثيرة، استغلها السياسيون في إثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية ومحاربة بعضها البعض، أو ظهور طوائف جديدة.

ما كان هذا ليحدث ولا غيره من الاختلافات العقائدية، وإن كانت لم تتناول لبّ الدين وجوهره بل في بعض الفروع الثانوية، ولو أن المسلمين راعوا الأسس المبدئية فيها بادئ الأمر، وأعطوها لمن يستحقها ممن تتوفر فيه شروط الخلافة والإمامة في أمور الدين والدنيا، وأجمعوا كلهم على من يختارونه. والمعروف ان الإجماع لم يحدث في سقيفة بني ساعدة حيث لم يحضر البيعة إلا أربعة من المهاجرين فقط هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، ومن الأنصار عدد قليل يتنازعون فيما بينهم، ودار آنذاك حول البيعة وبعدها نقاش وتشاور وأخذ ورد، وجاء على لسان المتنافسين ذكر

الإمارة والأمراء والوزارة والوزراء، كما جرى ذكر القوة والسيف والعزة والثروة والبأس والنجدة، وما كل هذا إلا خوض في الملك وقيام دولة، فلم تكن البيعة التي حصلت إلا بيعة سياسية حدث خلالها ما حدث من ارتداد عن الإسلام من جهة وامتناع عن أداء الزكاة للدولة الجديدة، مع أن الممتنعين هؤلاء لم يرفضوا الدين إنما رفضوا الإذعان للحكومة الجديدة[٣].

ثم تعيين الخليفة الثاني دوره الرجوع إلى الأمة، واللبس الذي رافق تعيين الخليفة الثالث. بينما لو ان علياً عليه السلام تولى الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما حدث ما حدث بدلالة العديد من الأدلة التي تستند إلى العقل والنقل، فالدلائل العقلية تقول ان الإمام يجب ان يكون معصوماً، وغير علي لم يكن معصوماً بالإجماع، ودلائل عصمته كثيرة أهمها آية التطهير، وآية المباهلة، وآية الولاية، فتعين بموجب هذا ان يكون هو الإمام، كما ان من شروط الإمام ان لم تسبق منه معصية، وعلي لم يعص الله طرفة عين، في حين ان غيره سجد للأصنام في الجاهلية ومنهم من أسلم بعد الدعوة بفترة، كما أن الإمام يجب أن يكون أفضل الرعية، وغير علي لم يكن أفضل الرعية بأحاديث متواترة وصحيحة، منها: (أقضاكم علي)، و: (علي مني بمنزلة هارون من موسى)، و: (وعلي أخي ووزيري ووصيي عليكم)، و: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وغيرها من الأحاديث الكثيرة المذكورة في الصحاح وكتب التاريخ، أما النقل فهناك نصوص في القران الكريم وأهمها الآيات التي مر ذكرها أعلاه.

والإمامة هي الرياسة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي ترادف الخلافة في المعنى، إلا أنها سميت بالإمامة، لأن الإمام إضافة لمهمته فهو القدوة وهو الذي يؤم الناس في كل أمورهم وهم يسيرون وراءه ويتبعونه، وللخليفة أو الإمام ما للرسول على المسلمين من ولاية أو سلطان، فله الحق على دينهم فيقيم فيهم الحدود وينفذ الشرائع، وله حق القيام على شؤون دنياهم أيضاً وعليهم أن يحبوه بالكرامة كلها لأنه نائب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس عند المسلمين مقام أشرف من مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولأنه القائم على دين الله والأمين على حفظه، والدين عند المسلمين أعز ما يعرفون في هذا الكون[٤].

فعلى المسلمين إذن أن يطيعوه ظاهراً باطناً، لأن طاعة الأئمة من طاعة الله وعصيانهم من عصيانه[٥].

فنصح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب وأمر لازم ولا يتم إيمان الأمة

ولا يثبت الإسلام إلا به[٦].

وللخليفة أو الإمام الأمر والنهي وبيده وحدة زمام الأمة وتدبير ما جل من شؤونها وما صغر، وكل ولاية دونه فهي مستمدة منه، وكل وظيفة تحته فهي مندرجة تحت سلطانه، وكل خطة دينية أو دنيوية فهي متفرعة من منصبه لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا، وتنفيذ أحكام الشرع على العموم[٧].

وحيث انه كان للرسول صلى الله عليه وآله كل السلطات الدينية والدنيوية، بخلاف ما كان لموسى وعيسى عليهما السلام حيث أن رسالتهما كانت روحية فقط تعتمد على الإقناع والوعظ والإرشاد، وقد ورد في الآيات الكريمة: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)[٨]. و(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّه وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)[٩]، وهناك أحاديث عنه صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله منها: (أنا أولى من كل مؤمن من نفسه)[١٠]، لذا فان رياسة الخليفة أو الإمام نيابة عن الرسول في كل سلطانه.

بعد هذا الاستعراض، فانه من بين الحقائق التاريخية الثابتة عند جميع المسلمين ان العلائق الاجتماعية والدينية والنفسية كانت وثيقة جدا ونادرة الشبه بين الرسول صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام، بل انها كانت راسخة لجذور بينهما منذ أول إسلام علي بن أبي طالب وشروق إيمانه بالوحدة الربانية الأكيدة، ولعل أبسط ما كان يرى في كيان الإمام علي عليه السلام هي شدة إغراقه في أداء واجباته الدينية وتلذذه في أدائها في كل الأوقات، إذ كان ذلك يدل دلالة منيرة على إدراكه الواسع لكثير من الحقائق الربوبية المقدسة. وكان عليه السلام متمسكاً في الوقت نفسه بأساليب عبادية خاصة يؤديها أخص أداء، فكان مثلاً لا يسرف في الأكل أبداً ولا يميل إلى تنويع طعامه الذي اعتاد تناوله. ان الخضوع السامي لخالق السماوات والأرض كان مدعاة لأن يخصه النبي صلى الله عليه وآله بكثير من أسرار سياسته النبوية، لكونه اقدر من غيره على كتمانها وأحفظ لها وأقدر على فهمها وتنفيذها آجلاً أو عاجلاً.

إضاءات السيرة

وقد ورد أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمة عليها السلام: (إن الله أعطاني في علي سبع خصال، هو أول من يشق عنه القبر معي، وهو أول من يقف معي على الصراط، فيقول للنار خذي ذا وذري ذا، وأول من يكسى إذا كسيت، وأول من يقف معي على يمين العرش، وأول من يقرع معي باب الجنة، وأول من يسكن معي عليين، وأول من يشرب معي من الرحيق المختوم)[11].

وقال ﷺ: (يا فاطمة لعلي ثمان خصال: إيمان بالله ورسوله، وعلمه وحكمته وزوجته وسبطاي الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقضاؤه بكتاب الله، يا فاطمة: إنّا أهل البيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا ولا يدركها أحد من الآخرين بعدنا، فينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عم أبيك ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة وهو جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة وهما أبناك).

وعن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال: (قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى آخى بيني وبين علي بن أبي طالب وزوجه ابنتي من فوق سبع سماواته، واشهد على ذلك مقربي ملائكته، وجعله لي وصياً وخليفة، فعلي مني وأنا منه، مُحبّه مُحبّي، ومُبغضُه مُبغضي، وأن الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبته)[12].

كان علي بن أبي طالب أصغر أخوته، وهم (جعفر وطالب وعقيل) وكانت ولادته في بيت الله الحرام في مكة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين بعد عام الفيل، فلم يولد أحد قبله في بيت الله قط، ولما ولد كان والده غائباً عن مكة حتى إذا ما قدم من السفر وعلم بولادته سماه علياً، وبعد أن كانت أمه قد سمته حيدرة، وهو من أسماء الأسد، وذكر اسمه من خلال غزوة خيبر حينما ارتجز أثناء هجومه على أعدائه صارخاً: (أنا الذي سمتني أمي حيدرة) ويكنى أبا الحسن وأبا تراب، وكانت كنيته أبو تراب أحبُّ إليه من سائر كناه.

دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية بن أبي سفيان فقال له: صف لي علياً، فقال ضرار اعفني، فقال: أقسمت عليك أن تصفه، قال: إذا كان لابد فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس من الليل ووحشته، وكان غزير الدمعة طويل

الفكر، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، ويعظم الدين ويقرب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الفاقد الحزين ويقول: يا دنيا غري غيري.

هذا هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لا تكاد محمدة من المحامد القضائية أو العلمية أو الاجتماعية أو الحربية إلا تتدفق من ذهنه لا نستطيع أن تأتي على حصرها، فما أعظمه من إمام، وكان لا يهمه شيء سوى أن يقوم بواجبه الديني قربة إلى الله تعالى، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد ترك الإمام عليه السلام نموذج حياته هذا هدفاً منشوداً، للإقتداء به في مسيرة جميع أبنائه وأحفاده من الأئمة الأطهار، فهو الأسوة الحسنة النموذجية المستنيرة الجديرة بالاتباع.

فسلامٌ عليك من الله تعالى يا أبا الحسنين، وسلامٌ عليك من رسول الله النبي الكريم وسلامٌ عليك من العالمين أجمعين وخاصة من شيعتك الذين يأملون شفاعتك يوم الدين ■

(١) طه حسين/ الفتنة الكبرى (عثمان).
(٢) الشيخ أبو زهرة/ المذاهب الإسلامية.
(٣) الشريف المرتضى/ الشافي/ الجزء:٢.
(٤) علي عبد الرزاق/ الإسلام وأصول الحكم.
(٥) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ الجزء:١- طبع في مصر سنة ١٣٠٢هـ.
(٦) المصدر السابق.
(٧) ابن خلدون/ المقدمة- صفحة:٢٠٧و٢٣٢.
(٨) سورة الأحزاب- الآية:٦.
(٩) سورة الأحزاب- الآية:٣٦.
(١٠) الصحاح جميعها.
(١١) المجلسي/ بحار الأنوار/ الجزء:٤٣.
(١٢) محمد جواد المحتصر/ نساء النبي وأولاده/ ص:١٣٩.

عتب على الدنيا

مما ينسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام:

عتبتُ على الدّنيا فقلتُ إلى مَتى ... أكابدُ هَمّاً بؤسهُ ليسَ يَنجلي
أَكلُّ شريفٍ مِن عَليٍّ نجارُه ... حرامٌ عليهِ العيش غيرُ محلَّلِ
فقالتْ نعم يا ابنَ الحسينِ رَميتُكم ... بسَهْمَي عِنادٍ منذُ طلَّقني عَلي

الشيخ حسين الحلي
أستاذ الفقهاء.. ومثال الزهاد

• حيدر المالكي

ينابيع الزهد والتقوى صفتان أودعهما الله جل وعلا في نفوس الصفوة من المؤمنين الذين آمنوا بالطريقة المثلى والنهج القويم، نهج محمد صلى الله عليه وآله، وعترته الطاهرة عليهم السلام، فسلكوا الطريق رغم كثرة العقبات وصعوباتها.

وكان خير من تحلى بهاتين الصفتين علماؤنا الأعلام، الذين لم يبخلوا على الدين الإسلامي بكل ما أوتوا من جهد ونشاط، طلباً لإعلاء كلمة الله، وإرشاداً للعباد فكانوا بحق مشاعل مضيئة وأعلاماً خفاقة.

ومن هؤلاء الأفذاذ شيخنا العلم العيلم صاحب النفس الأبية الزاهد الورع والتقي الطاهر سماحة الشيخ حسين الحلي، المدرسة الفقهية العريقة والتي خرجت العشرات من الفقهاء الأعلام، من مختلف البلدان الإسلامية، يوم كانت النجف الأشرف تزخر بطلبة العلم، بكل ما لطلب العلم من معنى، من غير مسميات أخرى، سياسية كانت أو اجتماعية.

وقد تشرفت الكوفة/ كلية الفقه بإقامة مؤتمر استذكاري حول هذه الشخصية، التي لم تأخذ حقها في كل

الميادين، وتزامناً مع هذا المؤتمر أحببنا أن تكون لرجل بهذه المواصفات النبيلة الفاضلة فضل الذكر في هذه المجلة.

نسبه، أسرته، ولادته:

هو سماحة آية الله العظمى الشيخ حسن بن الشيخ علي بن الحاج حسين بن حمود بن حسين الحلي النجفي (ينسب إلى عشيرة الطفيل، وطفيل الجد الأعلى الذي أنتسب إليه آله هو طفيل بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث، بطن من كلب منهم الشاعر (أبو الطفيل) الذي وفد على علي عليه السلام وعشيرة طفيل كانت قديماً تنزل مع جبسة في موطنهم القديم الواقع على فرات الرماحية، ولما تحول مجرى نهر الرماحية إلى جهة نهر ذياب (نهر الديوانية حالياً سنة (١١١٢هـ) تحولت آل طفيل إلى أرض تقع على المجرى الجديد للفرات ومنها تحولت إلى فرات الهندية ونزلت في أراضي حرقة القريبة من الكفل.

ينقسم آل طفيل إلى اثنتي عشرة فرقة منها فرقة (آل العيفار) و(العيفار) يقال أنها مصحفة عن (آل جعفر) وهي التي يرجع إليها شيخنا الراحل، حيث ينتمي إلى (آل حسين العيفاري) وهي اليوم قرية قرب ناحية (أبي غرق) وتقع هذه القرية بين الحلة ومقام النبي أيوب عليه السلام وهي إلى الحلة أقرب)[1].

وتشير الإجازة التي منحها إياه أستاذه النائيني قدس سره إلى علو منزلته وشدة محبة أستاذه له فيقول: (... وممن جد في الطلب والعمل بها قرة عيني العالم العامل العلامة والفاضل الكامل الهمام صفوة المجتهدين العظام وعماد الأعلام وركن الإسلام المؤيد المسدد والتقي الزكي جناب الآغا الشيخ حسين النجفي الحلي كثر الله تعالى في أهل العلم أمثاله وبلغه في الدارين آماله فلقد بذل في هذا السبيل برهة من عمره، وانشغل به شطراً من دهره، وقد حضر أبحاثي الفقهية والأصولية باحثاً فاحصاً مجتهداً باذلاً جهده في كتابة ما استفاده وضبطه ونقحه، فأصبح وبحمد الله تعالى من المجتهدين العظام والأفاضل الأعلام وحق له العمل بما يستنبطه من الأحكام على النهج الجاري بين المجتهدين الأعلام...)[2].

من خلال ما تقدم يمكن أن نلحظ

للفضيلة نجومها

ما يلي:

١- ما أطلق الشيخ النائيني قدس سره على شيخنا الحلي من صفات وألقاب كلها تدل على ما لحظه النائيني وشخّصه في تلميذه.

٢- تأكيد الحضور على أبحاث شيخه، واقتران هذا الحضور بالبحث والفحص والاجتهاد وبذل الجهد، وهذا ما يدل على أن شيخنا كان ذا عقل واسع لا تمر عليه المسألة أو الحكم حتى يقلبه ويغوص في غوره مستخرجاً منه أدلة وبراهين ومفاهيم وحججاً، بها يكشف المتلفع والغامض وحق للنائيني أن يصفه بقوله: (أنه من يحفر البئر بإبرة) عندما سئل عن اهتمامه البالغ الكبير بالشيخ الحلي.

٣- وصوله إلى درجة المجتهدين العظام، إذ نال الشهادة من أستاذه فيما تكشفه الإجازة، وكذلك نرى بين سطورها مودة عظيمة يكنها النائيني لتلميذه، حيث يقول في بعضها: (أوصيك يا ولدي وقرة عيني ملازمة التقوى والتحذر من أن تغرك الدنيا فإنها بحر عميق وقد غرق فيها كثير لا ينجو من الغرق فيها إلا من ركب سفينة التقوى، ... وعليك يا ولدي بالإكثار من ذكر الموت وإقلال الغفلة عنه...)، وأي مودة أكثر من أن يصفه بـ(ولدي) وكان التلميذ في حسن ظن أستاذه فقد سار على النهج الذي رسمه له زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

بقي أن نقول أن الإجازة حررت في ١٧ ربيع الأول عام (١٣٥٢هـ)، أي كان عمر الشيخ حينها ثلاث وأربعون سنة.

ولد في النجف الأشرف عام (١٣٠٩هـ/١٨٨٩م)[٣] من أبوين كريمين، فقد انتقل والده العلامة المقدس الشيخ علي الحلي من الحلة الفيحاء إلى النجف الأشرف لطلب العلم ومواصلة المسيرة المعطرة بشذى علوم آل محمد صلى الله عليه وآله، في وقت كانت الحركة العلمية في النجف الأشرف في أوج نشاطها حيث تمركزت فيها المرجعية الدينية العليا بما تحتويه من أساطين الفقه والأصول وعباقرة الأدب والفلسفة والنحو.

أصبح شيخنا الحلي نجفي المولد والمسكن والمدفن، وشأنه كشأن الأغلب ممن يولدون في بيت طافح بالعلم والأدب، فقد لاحت عليه علائم الذكاء وملامح الفطنة والنبوغ منذ نعومة أظفاره، فما كان من أبيه الذي عدّ من رجال العلم ومريديه إلا أن شجعه وزجّه في هذا المضمار حتى نال قصب السبق والقدح المعلى، فقرأ عليه أولياته وأعده لما يليها من دراسات.

وما أن بلغ الخامسة والثلاثين من عمر حتى فقد والده المقدس الشيخ علياً الحلي ففي ٧ شوال عام (١٣٤٤هـ) انتقل إلى رحمة الله ودفن في النجف، وقد أقيمت له المجالس التأبينية ومنها المجلس الذي أقامه المجتهد الأستاذ الشيخ محمد حسين النائيني في جامع الهندي وفي ذلك المجلس وقف الشيخ محمد علي اليعقوبي مؤبناً الفقيه بقصيدة مطلعها:

لمن الشريعةُ نَكّستْ أعلامها
لا غرو مذ فقدت عليٌ أمامها

كما فجع شيخنا بفقد أخيه، الأكبر منه، الأديب الشيخ حسن الحلي، من قبل فقد افتقده عام (١٣٣٧هـ) وبه فقد ركناً وثيقاً كان يستند إليه.

حياته العلمية:

شاءت الأقدار أن تهيأ لهذا العلم الطاهر بيئة علمية، تنمي قابلياته وإمكانياته وتشحذ أفكاره فقد حضر على ثلة من العلماء الأجلاء الذين وضعوا بصمات واضحة خالدة ودانت لهم المرجعية والحوزة العلمية بالفضل ومن هؤلاء:

١ـ الميرزا محمد حسين النائيني النجفي المتوفى سنة (١٣٥٥هـ) وقد لازمه ملازمة الظل للشاخص وكانت مدة الملازمة ثلاثين عاماً، فأفاد من تقريراته وأبحاثه، فضبط مباحثه الفقهية وفوائده الأصولية وسجل فتاواه بخط يده وقد طبعت مؤخراً بمجلدين، أشرف على طباعتهما الشيخ محمد جعفر النائيني.

٢ـ المجتهد الأستاذ آغا ضياء العراقي المتوفى سنة (١٣٦١هـ)، وقد كان العراقي من أكابر فقهاء عصره، ومن مراجع التقليد، وقد برع في الأصول حتى تخصص به، وأبدع فأصبح المدرس الفذ في النجف في علم الأصول، تتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني وأضرابه، اشتغل بالتدريس بعد وفاه شيخه الخراساني، إذ ذاع اسمه والتف حوله الكثير من الطلبة وكان من بينهم شيخنا صاحب الذكرى الحلي قدس سره حيث حضر أبحاثه الشريفة لكي يقارن بين ما تعلمه من أستاذه النائيني وبين ما يتلقاه من العراقي، فأكتسب خبرة عالية في دقائق وحقائق علم الأصول.

٣ـ فقيه الطائفة السيد أبو الحسن الأصفهاني المتوفى سنة (١٣٦٥هـ)، وهذا السيد حاز من الشهرة ما لا يخفى على أحد، فقد استقل بالرئاسة الدينية والمرجعية الكبرى، وطبقت شهرته الآفاق، فكان الشيخ حسين الحلي ممن حضر أبحاثه الشريفة في علم الفقه وعلم الأصول.

ومما تجدر الإشارة إليه تنوّع تقريرات الشيخ حسين الحلي، (فقد كتب تقريرات الشيخ آغا ضياء العراقي في الفقه واشتهر العراقي بكونه أصولياً، في الوقت ذاته كتب تقريرات السيد أبي الحسن الموسوي الاصفهاني في الأصول وقد اشتهر بالفقه)[٥]، وهذا إنما يدل على سعة إطلاع الحلي ونباهته العالية في تتبع دروس أساتذته والاستفادة الكاملة منها.

ولنقف عند الشيخ جعفر محبوبه، ولنرى ما كتبه عنه إذ عدّه من مشايخه في الدرس: (هو اليوم من رجال العلم البارزين ومن أهل الفضل السابقين، مرغوب في التدريس إلتف حوله ثلة من طلاب العلم الساهرين على التحصيل يستفيدون من علمه ويستقون من معين فضله، له إحاطة بما وقع نظره عليه

للفضيلة نجومها

وبسره في تاريخ ولغة وأدب ونكات فهو مجموعة ثمينة وخزانة نفيسة تحتوي على النفائس المودعة في الأسفاط، حسن الإلقاء، لطيف العبارة كثير الاستحضار، وله في الأصول والفقه الآراء الثمينة والاستنباطات العظيمة قل من ساواه في إحاطته بكل ما مر عليه من المبادئ الأولية إلى آخر دروسه العالية فإذا سئل عن مسألة في أي علم كان يجيب عنها بالجواب الكافي فكأنما في ساعته قد فرغ منها...)[٦].

في حين يرى الشيخ محمد علي اليعقوبي فيه أنموذجاً فريداً، فيقول في القصيدة التي أشرنا إليها آنفاً في رثاء والده الشيخ علي الحلي:

فقدت به تقوى الإله عمادها
فلتطوبعد(أبي الحسين) خيامها
كادت صروح العلم من جزع به
تهوي ولكن (الحسين) أقامها
علامة العصر الذي ليمينه
ألقت أمور المسلمين زمامها
الله قلده الزعامة في الورى
فغدا يبين حلالها وحرامها
ذو طلعة إن قوبلت فيها السما
في المحل أرسلت السماء رهامها
ما خاصمتنا أمة في دينها
إلا دحضنا بالحسين خصامها
إن تتبع عصب الضلالة غيركم
هيهات يغفر ربها آثامها
فلك العزا عمن مضى في شبله
فالأسد تمنح شبلها آجامها
رفت خلائقه الحسان كأنها
الأزهار فتحت الصبا أكمامها
كانت عقود الفضل غير نظيمة
والله أكمل بالحسين نظامها

والأبيات كلها تدل على علو منزلة الشيخ حسين الحلي منذ عام (١٣٤٤هـ)، أي مذ كان له من العمر خمس وثلاثون سنة.

أما الباحث السيد محمد علي بحر العلوم فقد حدد شخصية الحلي بالملامح التي نوجزها:

(١- شيخ الفقهاء: حيث يجد المتطلع أن تلامذة شيخنا الحلي تصدروا الرعيل الأول من مرجعيات وفقهاء الجامعة النجفية والذي سوف نتعرض لذكر بعضهم.

٢- الفقيه المجدد: حيث يعدّ أول فقيه شيعي في الجامعة النجفية يقتحم في وقت مبكر أبواب المسائل المستحدثة في الفقه بمنهج علمي رصين وأسلوب متميز.

٣- الفقيه المربي: فقد تميز بين الفقهاء باهتمامه الخاص برعيل من فضلاء الحوزة من تلامذته الذين توسم فيهم المستقبل العلمي.

٤- الفقيه المحقق: تميز شيخنا الحلي بتحقيقاته المتنوعة في التاريخ والسيرة والرجال...)[٧].

في حين يرى العلامة السيد محمد صادق الموسوي الخرسان حداثة المواضيع التي تطرق إليها بقوله: (... إذ نجده الفقيه السبعيني الذي يبحث

استدلالياً عن موضوعات عصرية ذات صلة مباشرة عملية بأجيال قادمة، الأمر الذي يجعل بحثها على مستوى البحث الخارج وقبل ما يقرب من خمسة عقود زمنية قضية تستحق الدراسة والتحليل للموضوعات العلمية المبحوثة، كما وجدناه وهو يعيش في المناخ العلمي الحوزوي يبحث بعض المسائل فيعرضها بأسلوب المقارنة)[٨].

تلامذته:

عدّ السيد هاشم الحسيني تلامذة الشيخ الحلي فكانوا يزيدون على الثلاثة والخمسين[٩] وقد أصبح أغلبهم من الفقهاء نذكر منهم على سبيل الإيجاز:

١- سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني.
٢- سماحة آية العظمى السيد محمد سعيد الحكيم.
٣- آية الله السيد إبراهيم الزنجاني.
٤- المحقق السيد عبد الرزاق المقرم.
٥- الشهيد السعيد السيد عز الدين بحر العلوم.
٦- الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر.
٧- آية الله السيد محمد الروحاني.
٨- آية الله السيد محمد تقي الحكيم.
٩- الشهيد السعيد السيد علاء الدين بحر العلوم.
١٠- سماحة الشيخ صادق القاموسي.
١١- آية الله السيد يوسف الحكيم.

وكانت علاقة الشيخ حسين الحلي مع السيد محسن الحكيم قدس سره علاقة

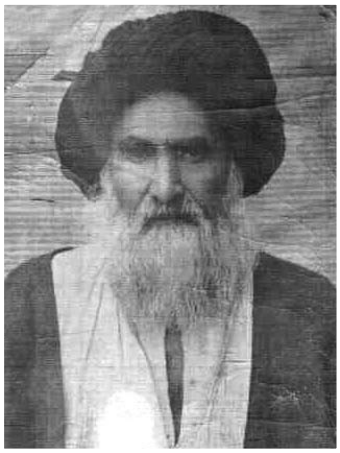

أساتذة الشيخ حسين الحلي، من الأعلى: السيد أبو الحسن الأصفهاني، الشيخ ضياء الدين العراقي، الشيخ محمد حسين النائيني

للفضيلة نجومها

حميمة حيث عده الأستاذ محمد حسين الصغير (ساعده الأيمن في المسائل الفقهية والأصولية، حيث كان يعتمد عليه اعتماداً كلياً).

نتاجه العلمي:

تنوعت نتاجاته العلمية في مواضيعها إلا أنها دارت في مداري الفقه والأصول، فضلاً عن تقريرات أساتذته، فقد كتب عدداً غير قليل من التعليقات والرسائل والشروح نذكر منها[١٠] (رسالة في معاملة الدينار بأزيد منه)، (رسالة في قاعدة من ملك)، (رسالة في قاعدة الفراش)، (رسالة في عمل أهل كل أفق بأفقهم)، (رسالة في إلحاق ولد الشبهة بالزواج الدائم)، (سؤال وجواب في الفقه والتفسير والأدب)، و(شرح كفاية الأصول).

وفاته:

كان يوم الرابع من شهر شوال عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٣م) يوماً غير اعتيادي بالنسبة للشيخ حسين الحلي حيث انتقلت فيه روحه الطاهرة إلى حضيرة القدس حيث جنة الخلد التي وعد الله بها المتقين ويومها فقدت الحوزة العلمية طوداً شامخاً طالما استظل بفيئه المستظلون، ومعيناً فراتاً طالما ارتوى من عذبه المتعطشون فمضى طاهر الأثواب زاهد الحال ودفن في الصحن الحيدري الشريف في مقبرة أستاذه الشيخ النائيني على يسار الداخل إلى الصحن الشريف من الباب الكبير (باب الساعة) وقد أرخ وفاته السيد محمد الحسيني الحلي بقوله:

فجع الغري وأصبحت
تبكي القداسة والعلوم
لما قضى شيخ الفضائل
من به العليا تريم
إن (الحسين) لآية
فيها الشريعة تستقيم
الحلة الفيحاء صارت
فيه تحسدها النجوم
وبه الغري سما مقاماً
حين راح به يقيم
ساد الظلام بفقده
فوفاته خطب جسيم
فجع الوصي فأرخوا:
(رزء الحسين به عظيم)
١٣٩٤هـ

---

(١) الساعدي، عشائر الفرات الأوسط ص:٨٤، الحسيني، لمحات من حياة الحلي ص:٧.
(٢) نص الإجازة في الكراس الصادر في الذكرى ص:٢.
(٣) لمحات من حياة الحلي ص:٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) من كلمة الدكتور محمد حسين الصغير في المؤتمر الاستذكاري.
(٦) محبوبه، ماضي النجف وحاضرها ٣/ ٢٨٣.
(٧) من كلمة السيد محمد علي بحر العلوم في المؤتمر الاستذكاري.
(٨) من كلمة السيد محمد صادق الخرسان في المؤتمر الاستذكاري.
(٩) لمحات من حياة الشيخ الحلي ص:٢٠.
(١٠) المصدر السابق.

هكذا قالوا في إمام اللغة
مهدي المخرزمي النجفي

• مهدي النجفي

ينابيع هو العلامة مهدي نجل الفقيه الشيخ محمد صالح نجل الفقيه الكبير الشيخ حسن نجل العلامة المجاهد الشيخ محمد صالح نجل الشيخ علي نجل صاحب الرياضة والسلوك الشيخ زائر دهام (الذي إليه ترجع الأسرة النجفية المعروفة) المخزومي النجفي.

ولد في النجف الأشرف عام (١٩١٩م) وترعرع في بيئة العلم والعلماء متنقلاً بين مجالسها العلمية من مجلس والده الفقيه الشيخ محمد صالح إلى مجلس عمه أستاذ المجتهدين آية الله الشيخ عبد المحمد آل زائر دهام إلى بقية مجالس النجف المقدسة ومنتدياتها...

وإليك نموذجاً من عشرات المقالات فيه

للفضيلة نجومها

مرتباً أسماء أصحابها وفق الحروف الهجائية:

١. الشيخ جلال الحنفي: . رئيس تحرير صحيفة دجلة .

(حين ظهر ابن هشام أشار ابن خلدون إلى أنه ظهر في المشرق نحوي هو أنحى من سيبويه، ولو أدرك ابن خلدون أيامنا لعاد فقال إنه ظهر في المشرق نحوي هو أنحى من الرجلين إنه مهدي المخزومي)[١].

٢. حسب الله يحيى:

(...كان المخزومي وسواه من أعلام الفكر التنويري في العراق، يُكتب خارج السرب، ويُقرأ في جدران الجامعة ومكتبة المجمع العلمي العراقي، والمكتبات الشحيحة في ضوئها... حتى إذا ودعناه... ودعنا شخصية متفردة لم يشغلها أو يكون بديلاً عنها حتى هذه اللحظة)[٢].

٣. أ. د. حسن الحكيم:

(ينتسب الأستاذ الدكتور مهدي المخزومي إلى أسرة عربية علمية عريقة من أسر العلم المعروفة في مدينة النجف الأشرف وهي أسرة (آل زائر دهام)... وفي أحضان هذه الأسرة تربى الدكتور مهدي المخزومي وفي أجواء مدينة النجف العلمية والثقافية نشأ وترعرع، وقد لعبت المنتديات الثقافية والأدبية، والمناظرات العلمية دوراً في نبوغ الدكتور المخزومي...)[٣].

٤. شاكر علي التكريتي:

(... إن المخزومي هو الصورة المعنوية المجسدة التي أفادت اللغة العربية فتألقت أجزاؤها ومفرداتها وتناغت حركاتها وأصواتها وطرقت الأسماع والأذهان أنغاماً وألحاناً تطرب وتسر، وبسهولة ويسر، وبإيقاع ساحر على أوتار الفصاحة والبلاغة... وإذا ما دأب النحاة القدامى على تقسيم ـ الجملة ـ إلى جملة اسمية وأخرى فعلية، فإن المخزومي ـ بطبيعته جملة واحدة لا تنقسم وكل واحد لا يتجزأ...)[٤].

٥. أ. د. شجاع العاني: . ناقد .

(... كان درس المخزومي في النحو متفرداً لا يشبه أي درس آخر، وكان المخزومي متميزاً بعلمه وأسلوبه عن جميع الأساتذة الآخرين... والمخزومي لم يكن مجرد شارح ومفسر أو ملقن لآراء الغير بل كان مجتهداً كبيراً يحاول أن يضيف إلى هذه المحاولات شيئاً جديداً خاصاً به، وفضلاً عن ذلك كان أستاذنا الجليل يتمتع بأسلوب ساحر في إيصال المعلومة إلى ذهن الطالب بحيث يشد الجميع إلى درسه، ولم يكن حتى الطلبة الذين عرفوا بإنصرافهم عن الدرس إلى شؤون الحياة الأخرى غير قادرين على أن ينجوا من هذا السحر...)[٥].

٦. د. صلاح الفرطوسي:

(... وأزعم أن الجامعة العراقية لم تشهد منذ تأسيسها وحتى الآن أستاذاً وبهيبته ومنزلته العلمية، كما إن مؤسساتها الثقافية لم تعرف رسالة علمية بشهرة رسالته (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة العربية) ولعلها واحدة من أشهر خمس رسائل صدرت عن الجامعات العربية... كان طلابه الذين ينتشرون بالآفاق يذكرون تفاصيل عن سيرته في التدريس والحياة، هي محل تندرهم في بعض الأحيان، ويتحدثون عن غزارة علمه، وتضعه موضع الدهشة بين طلابه وأبناء جيله والجيل الذي تلاه.

وكما اتفقت الأجيال على عبقرية الخليل، فإن جيله لم يختلف على المعية وغزارة علمه، إذ كان مدرسة تدفع على

غبطة من انتسب إليها، وأنت ـ وفقك الله ـ لا تجد كتاباً في اللغة أو النحو صدر في المشرق أو المغرب في أثناء الأربعين سنة الماضية يخلو من إحالة على أحد كتبه ولاسيما على كتابيه عن الكوفة والخليل)[٦].

٧. أ. د. طارق عبد عون الجنابي: باحث أكاديمي من العراق.

(... ولعل قول الرواة ـ من أراد أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ ينطبق على المخزومي، فكلاهما من معدن صاف وكلاهما طار صيته وعلمه في الآفاق، لأن الثاني هو الوليد التاريخي للأول، وقد تعرض الخليل للمغامز والنقد، مع أن عقله أكبر من علمه كما يقول ابن المقفع، وما تعرض المخزومي لشيء من ذلك، ولم يستسغ أولئك الكتبة آراء المخزومي وأفكاره في تجديد النحو وتيسيره... فالمخزومي أديب النحويين بعبارته العربية الفصيحة الأصيلة، ولكنها المعاصرة الأنيقة المشوقة، وأسلوبه سهل ممتنع، والعربية طيِّعة على قلمه ولسانه بروائها ونقائها وسلاستها، وهو محاور على أديم الورق لا يُجارى، يذهب كثير من صياغاته مذهب الأمثال، ومن يقرأ كتاباته المبكرة في سيرة النحويين يرى فيها نسيجاً رفرفاً زاهياً يجعله من أبرع كتاب السيرة...)[٧].

٨. عباس عبد جاسم: رئيس تحرير جريدة الأديب.

(لقد كان العلامة مهدي المخزومي من أبرز المجددين في النحو العربي، ومازالت أفكاره تحتفظ بعناصر القوة

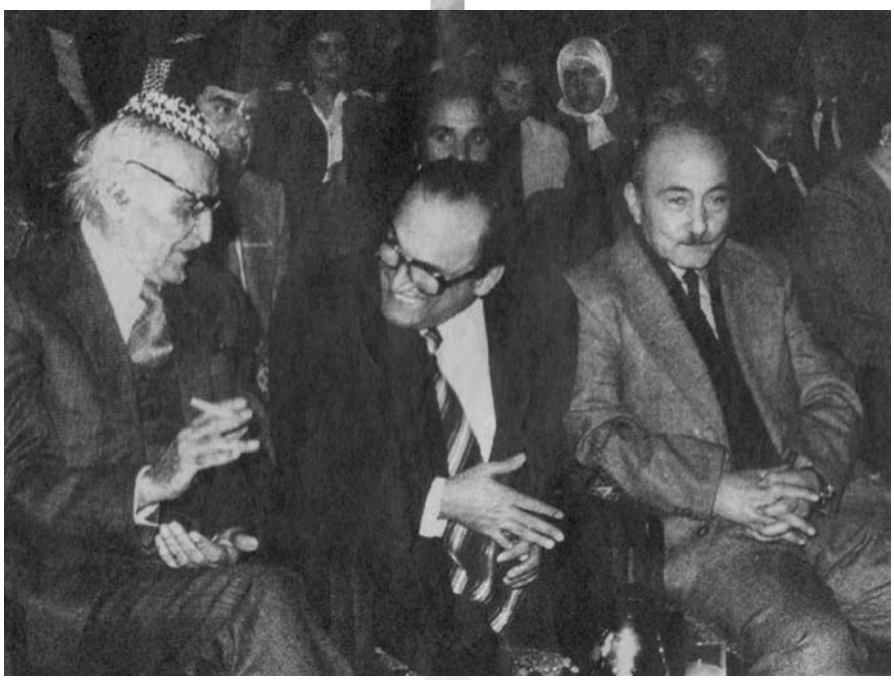

للفضيلة نجومها

والحياة والبقاء، ... فهو مدرسة نحوية حديثة...)[٨].

٩. السيد عبد الستار الحسني:

(العلامة مهدي المخزومي ظاهرة فريدة بين علماء اللغة العربية في القرن العشرين لفتت شخصيته المتميزة أنظار علماء لغة الضاد فانجفلوا يشيرون إلى مواضع الإبداع والعبقرية في ملكة هذا الرجل الفذ، الذي شاء الله تعالى أن يدخره للغة القرآن الكريم، ويكاد الإجماع ينعقد على أنه في النحو العربي إمام يقتدى به ويحتج برايه، وحسبه أن يكون له في هذا العالم نظرات فاحصة أزالت الركام الهائل الذي سفا عليه من غبار العصور، فخلط اللباب بالقشور، وإن جاز لنا التعبير قلنا أنه - هو المهدي الذي جاء لينتشل النحو من تعسف النحاة ومصطلحاتهم المنطقية إلى حيث النهج الواضح المستهدي بأساليب العرب العرباء بعيداً عن الأقيسة والجدل السفسطي العقيم)[٩].

١٠. د. الشيخ عبد الهادي الفضلي:

(... يُعد المخزومي في ضوء ما قدم من نتاج علمي في النحو العربي - من أعلام النحاة العرب، ومن المجددين للفكر النحوي في هذا العصر)[١٠].

١١. د. علي جواد الطاهر:

(... كان المخزومي لا يتكلم إلا حين يصل الكلام إليه، وإذا تكلم تكلم بقدر وبميزان وبصراحة العالم المطمئن الذي أصغى إليه طويلاً، وكان اصغاؤه مناظرة، وصمته مناقشة، وكلامه جواباً عن سؤال، وحلاً لمشكلة، وهو بين صمته وكلامه وجود راسخ وكيان يحسب حسابه... وأحسب أن محك الصداقة: السفر، ولقد جربت المخزومي في أسفار بعيدة متكررة، ربما عاد منها غيرنا متباعدين متفارقين، ولكننا كنا نُحيي السفر في وئام، ونعود منه ونحن أمتن صلة وأشد عوداً وأسد رأياً، وينطلق المخزومي في ذلك من مفهومه العالي للصداقة فطرة واكتساباً، ومن خلقه العالي في الموائمة والموافقة والمسابقة في الفضل.

وإذا استدعت الصداقة صبراً فإن صبر المخزومي خارجها أعجب وأغرب... فارق المخزومي الدنيا وهو على زهده وعفته وسموه وصبره، ومن كان همه في اللغة كان أكبر من الدنيا، فكيف إذا اتسع الهم اللغوي لهم الأمة واتسع هم الأمة لهم الإنسان؟

أجل هكذا مضى المخزومي ماجداً نقياً.

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة
غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر)[١١]

١٢. د. فائز الشرع: . ناقد وشاعر.

يشغل العلامة الراحل الدكتور مهدي المخزومي مكانة مهمة في تاريخ الدرس النحوي العربي الحديث، وذلك لأهمية طروحاته العلمية في هذا المجال وإسهامه الفاعل في تطوير آليات دراسة النحو واللغة... وهو فوق ذلك يُعد إنموذجاً انسيابياً متفرداً، يحمل إلى جانب اشتراطات العلم، والقدرة الذهنية الفائقة، أخلاقيات التعليم ونزاهته، إذ دأب على رعاية أجيال من الأكاديميين والاهتمام بمسيرتهم العلمية، من دون أن يحرمهم من دقائق علمه وسعيه المعرفي يُضاف إلى ذلك مبدئيته التي جعلت منه رجل مواقف من طراز خاص... والعلامة المخزومي من أهم حلقات سلسلة التطور العلمي في مجال اختصاصه...

ونظراً لثراء ما قدمه هـذا العالم الكبير، فقد تنوعت الإسهامات بين البحث العلمي في جهوده وآرائه وعناصر التجديد فيهما، وبين الشـهادات التي تؤكد رسـوخه في تجربته العلمية من جهة وسـمو أخلاقه أثره الفاعل فيمن سواه من جهة أخرى[١٢].

١٣. محمد مهدي الجواهري: . شـاعر العرب الأول.

يا كالئ الجيل من أفضاله مننا
منها تتيه على أكتـافه حلل
وحاضن اللغة الفصحى وقد عبثت
بها الجهالة والأخطاء والزلل
ومطلع الفكر في ظلمائها قبسٍ
كما يحول روضاً يانعاً طلل
يهنيك أن ربوع العلم تحتفل
بأن سلمت وسوح المجد تبتهل[١٣]

١٤. أ. د. مجيـد الماشـطة: . أكاديمي.

(يـكاد العلامـة المخزومـي (رحمـه الله) يشـكل مدرسـة نحوية بذاته لكثرة ما طرحـه من آراء أصيلة ومعالجات عميقة لدقائق النحو العربي...)[١٤].

١٥. مصطفى السقا: . أستاذه.

(وإني إذا أقدم هذا البحث... أشعر بأني أُقـدم للعالـم العربـي أثراً نفيسـاً جداً من آثار أسـتاذ عالم محقق شاب أنجبته العراق وشـاركت مصرنـا العزيـزة فـي تثقيفـه وتخريجه على أحدث المناهج العلمية وأدقها وأرجو أن يكتب بذلك فـي الخالدين)[١٥].

١٦. معتز عناد غزوان:

(يعد العلامة الراحل الأستاذ الدكتور مهـدي محمـد صالـح المخزومـي أحـد أعمـدة لغتنـا العربيـة الأصيلـة بـل وأحد علمائهـا الكبـار ولاسـيما ما امتـازت به مؤلفاتـه من رصانة علمية ودقة متناهية من التركيـز والإحاطـة بكل جوانـب اللغة ونحوها وصرفهـا... فالمخزومي عالم اللغة العربية بل وعميـد اللغة العربية بكل فخر واعتزاز[١٦].

١٧. أ. د. نعمة رحيـم العزاوي: . باحث أكاديمي.

(لقد امتاز المخزومي بأنه باحث مجدد أحـاط بالنحو العربـي القديم، ووقف على مصادره الأولى، فاستوعبها، ثم تخير منها ما رآه جديراً بـأن يوجه هذا الدرس وجهة جديدة...)[١٧].

١٨. المستشرق الأسباني (موبتا):

(لم يكـن الخليل بن أحمد الفراهيدي إلا الدكتـور مهـدي المخزومي فهو الذي أسس مدرسـته وحقق أعماله وأعاد إليه ما سرقه طلابه كأبي مسعدة الأخفش)[١٨] ■

---

(١) كـراس المعلـم والباني، صدر فـي الذكرى السادسة لوفاة المخزومي.
(٢) جريدة الأديب، ع٩٤ تشرين الثاني ٢٠٠٥.
(٣) مجلة الفرقان، ع٧٥.
(٤) كراس المعلم والباني.
(٥) جريدة الأديب، عدد خاص في ذكرى المخزومي.
(٦) مقالـة منشـورة على الإنترنـت (ذكرياتي عن الدكتور المخزومي).
(٧) ، (٨) جريـدة الأديـب، عدد خاص في ذكرى المخزومي.
(٩) نقل مشافهة.
(١٠) هكذا رأيتهم ١/ ١٤٠.
(١١) كراس المعلم والباني.
(١٢) جريدة الأديب، عدد خاص.
(١٣) ديوان الجواهري ١/ ٥٥.
(١٤) جريدة الأديب، عدد خاص.
(١٥) مقدمة كتاب النحو العربي نقد وتوجيه.
(١٦) جريدة المؤتمر، ع٩٦١ تشرين الثاني ٢٠٠٥.
(١٧) جريدة الأديب، عدد خاص.
(١٨) كلمة التأبين في وفاته.

الشاعر والفقيه..
الشيخ عبدالعظيم الربيعي البحراني

• حسين جهاد الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع عندما تمتزج القافية مع الفتوى وتتلاقح الأبيات مع الأحكام، وتتوزع الكلمات فوق السطور لتتدلى بين جوانبها أوراق الحكمة وأزهار الأدب اللطيف...

لذا فقد كانت تجول في خاطري فكرة تريد أن تقفز لتعيش تحت ضياء الشمس، ولكنها بقيت محبوسة زمناً غير قصير، وبرغم حبسها وكتمها تعاود أطيافها مخيلتي، إلى أن جاء أخونا وعزيزنا الباحث الفاضل الأستاذ حيدر الجد فأخرجها من حبسها وليجدد فيَّ الأمل في أن ترى ضياء الشمس من جديد...

تلك هي الكنوز المدفونة في سطور الكتب ورفوف المكتبات من حياة ثرة، ومن مجد شامخ خلفه لنا آباؤنا وأجدادنا، فالماضي حافل بهذه الكنوز الفكرية والعبقريات الفذة ومن لا ماضي له لا حاضر له...

ومن هذه الكنوز برز مترجمنا الشيخ عبد العظيم الربيعي ليكون الأول في مسيرة تلك الكنوز وليكون الأسرع في رؤية ضياء الشمس لينير

للباقين مشاعل النور الفكري من جديد...

من هو الشيخ:

هو الشيخ عبد العظيم بن الشيخ حسين بن الشيخ علي سعد الدين الجدعلاني التغلبي الربيعي البحراني...

قبيلته وأسرته:

ينتهي نسب شيخنا المترجم إلى تغلب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان...

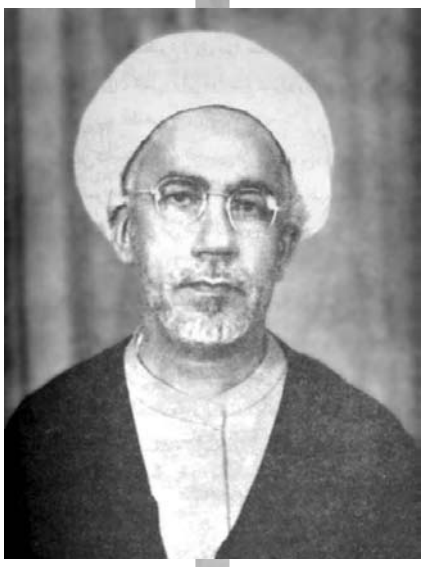

وربيعة هي قبيلة شريفة ومن القبائل الأولى في أنساب العرب، ولها القدح المعلى في نسب القاصي والداني لما لها من الشرف والرفعة والوجاهة في العالم العربي والإسلامي...

وكفاها فخراً وشرفاً أن يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام:

جزى الله عني ـ والجزاء بفضله
ربيعة خيراً، ما أعف وأكرما

لذا فقد خرج منها أشراف القوم من العرب وأعلاهم منزلة وفهماً وخيراً لهذه القبيلة العريقة الرائدة...

ولهذه القبيلة بطون منتشرة في أرجاء المعمورة وبالخصوص في العراق ووسط الجزيرة العربية، فكانت (جدعلي) من تلك البطون التي انتشرت في البحرين وجنوب العراق وإيران...

فـ(جدعلي) هي قرية من قرى توبلي من قرى البحرين حيث هاجر منها جد المؤلف المذكور إلى قصبة النصار من جزيرة عبادان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري...

وجد المترجم الشيخ علي سعد الدين هاجر من بلاده البحرين إلى بعض مناطق شط العرب، واستوطنها حتى وفاته سنة (١٣١٠هـ).

وأما والده، فهو الشيخ حسين الربيعي، المتوفى في ٢٤ رمضان سنة (١٣٤٦هـ)، وأما أمه فهي سليلة الحسب والنسب السيدة هاشمية بنت السيد جمعة السيد مكي السيد سليمان السيد ناصر آل قارون الساري...

أما مترجمنا فله من الأخوة (الشيخ علي)، و(الشيخ أحمد)، و(الشيخ عبد الهادي) وأمهم العلوية الطاهرة (السيدة سكينة بنت السيد شبر السيد جمعة السيد مكي السيد سليمان السيد ناصر آل قارون الساري)... وله من الأبناء (الشيخ محمد صالح الربيعي) الأستاذ والشيخ الفاضل الورع يسكن البحرين حالياً.

للفضيلة نجومها

حياته وسيرته العلمية والفقهية:

ولد مترجمنا قدس سره في ١١ من ذي القعدة سنة (١٣٢٣هـ) في قصبة النصار بجزيرة (عبادان) وهي البلدة التي هاجر إليها جده من بلاد البحرين، وقد صادف مولده الشريف يوم مولد سيدنا الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام، فسر والده بهذه المصادفة وسأل الله له أن يحيا الحياة الكريمة العالية، وتفاءل المترجم له لنفسه السعادة والتوفيق بهذه الكرامة الجليلة، فنظم - بعد ذلك - هذه الرباعية الجميلة مؤرخاً بها عام ولادته إذ يقول:

الفأل كان بها يسر المرتضى
من حيث كانت بالسعادة تنطق
وإذا ولدت بليلة ولد الرضا
أرختها: (عبد العظيم يوفق)

تربى المترجم له في أحضان والده المقدس (الشيخ حسين) تربية صالحة، وبدأ مشواره العلمي على يديه رحمه الله حتى قطع شوطاً في المقدمات...

بعدها هاجر شيخنا الجليل في حياة والده وعند أواخر سنة (١٣٤٢هـ) إلى مدينة العلم والشرف النجف الأشرف، ليستقي من مناهلها المترعة، ويغتذي من ثمارها الروحية، إذ بدأ دراسة السطوح على علماء فضلاء من مشاهير أهل الفضيلة والاجتهاد، منهم: الشيخ محمد الصغير (ت ١٣٦٠هـ) والسيد جواد التبريزي (ت١٣٨٧هـ)، والشيخ باقر الزنجاني (ت ١٣٩٤هـ) والشيخ عبد النبي العراقي (ت ١٣٨٥هـ) وغيرهم من أفاضل الحوزة العلمية آنذاك...

وحضر في (البحث الخارج) وهو أعلى مستوى في الحوزة العلمية على فطاحل هذا العصر أمثال: السيد أبي الحسن الاصفهاني (ت١٣٦٥)، والشيخ آغا ضياء الدين العراقي (ت١٣٦١)، والشيخ محمد رضا آل يس (ت١٣٧٠) والسيد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ)، والسيد أبي القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ)، قدس الله أسرارهم أجمعين... ولقد تشرف بعد أن نهل العلم منهم بإجازاتهم العلمية الرصينة...

ثم غادر النجف إلى بلاده في منطقة شط العرب أواخر سنة (١٣٦٣هـ)، حاملاً معه مشعل العلم وراية الهدى، مشتغلاً بالوظائف الشرعية ونشر الأحكام الدينية وتقويم الأخلاق، ورفع الوعي الديني في خدمة العلم والعلماء...

نشاطه الأدبي:

بدأ شاعرنا وفقيهنا حياته ونشاطه الأدبي والثقافي منذ أن كان في النجف الأشرف، إذ لهذه الأرض الشريفة أثرها الواضح على الشعراء والأدباء من حيث الأجواء الروحية والهواء النقي والذي بدوره يرفع من حرارة الشاعر والأديب ليظهر ما بجعبته من ثمار مقطوفة مسطرة على أوراق الماضي والحاضر والمستقبل.

ولعل مترجمنا لا يحتاج إلى إظهار وتعريف من الناحية الأدبية

نظراً لنشاطه وجهاده الأدبي الدائم، فمن حيث الشعر، فشعره يذاع على الأسماع من المنبر الحسيني الخالد ودواوينه وأشعاره الأخرى مطبوعة يقرأها القاصي والداني إذ لم يكن شعره مقصوراً على اللسان الفصيح فحسب، بل تعداه إلى الشعر الشعبي الرائع ولذا فقد سمي بـ(شاعر الحسين وبليغ اللسانين)، حيث نظم بأوزان شتى وفي موضوعات كثيرة...

أما في النثر، فكتابه القيم(سياسة الحسين) بيان رائع بديع، يزيد القارئ بصيرة في عظمة النهضة الحسينية ويرد الشبهات والاعتراضات بأسلوب علمي أدبي عقلي رصين...

وما جاء هذا الكم الأدبي الرائع إلا من دراسة تفهم وتحقيق في علوم العربية، كالنحو والصرف والبديع والبيان والمنطق وإتقانه وضبطه الكثير من مفردات اللغة واشتقاقاتها حينما كان طالباً ومدرساً في مدرسة النجف الأشرف...

شعره وشاعريته:

تسعى القصيدة البحرانية الناضجة إلى الكشف عن القيمة الفنية للوجود، واعتبار الإنسان أعلى قيمة في ذلك الوجود عن طريق الرؤيا الشعرية عنها والتأكيد عليها. وبهذا وحده تنتمي التجربة الشعرية في البحرين إلى تجارب الشعر الإنسانية الحية وتتواصل معها، أو على الأقل تتوق إلى ذلك.

فحين تتحول الركائز الموضوعية (الدين، الطبيعة، الوطن، الإنسان، المرأة) في نسق متطور خصب إلى قيم فنية، فإن ذلك يعني أن سماء الحلم واسعة وأفق الرؤيا مفتوح أمام تجربة الإنسان في الشعر والحياة على السواء... لذا فقد لوحظت هذه المعاني في شعر وشاعرية الشيخ عبد العظيم رحمه الله إذ أن ذلك كله متجهاً صوب غاية واحدة وهي مثالية الإنسان وسيادته الحقة، وذلك لا يتم إلا بواسطة جدل القصيدة أو خيال الشاعر مع معايشته الواقع وظروف الحياة، فلهذا كان شاعرنا واسع الأفق ذا خيال واسع، فألفاظه وكلماته جزلة سهلة ممتنعة وكما يقال فإن شعره من السهل الممتنع.

فشعره نظم رائع بديع سبحت فيه قريحته في عالم الحب لأهل البيت عليهم السلام، فأتت بما يزري بالدر ويملك الألباب، وقد تجلى فيه ولاؤه الصادق وحبه الصحيح... ولو تصفحت ديوانه لوجدته شاعراً يعيش في غير عصره، فقد اقتفى أثر الأوائل، فعارض بديعية البوصيري، وجارى دالية القيرواني (يا ليل الصب) وسار خلف ابن أبي الحديد في علوياته والكعبي والسيد الحلي في مراثيهما، وخلف مهيار في مدائحه، ولعله أعرض قليلاً عن الأسلوب الجديد ومواضيعه...

ولعلنا لا نستطيع أن نقف بهذه العجالة على التقويم والتقييم الفني لشعره غير أنه يمكن القول أن شاعرنا يقف في طليعة الشعراء

للفضيلة نجومها

التقليديين الذين حاولوا الحفاظ على متانة الأسلوب، وقوة المبنى في عصر يعج بالمتهافت مما ينسب إلى فن الشعر زوراً على الرغم من شموخ من له أدبية معروفة في عصرنا تمثل القمة في الأسلوب والمضمون معاً...

ولنا من ذلك أمثلة كثيرة من روائع شعره منها:

في ولادة النبي صلى الله عليه وآله يقول:

طير الهناء على الوجود يغرد
بشرى، فقد ولد النبي محمد
بشراك يا دنيا الهدى، وألية
أن الوليد نظيره لا يولد
وليعلم التوحيد أن المصطفى
في نصره لهو الوحيد الأوحد
جد لي رسول الله منك بنفحة
فعسى بمدحك مذودي لا يعقد

وقال في إحدى علوياته:

عشقتك النفس يا رب الجمال
قبل عرفان الهوى والأنفس
ورأتك العين للحسن مثال
فتعالى من مثال أقدس
يا أمير الفصحا في كل باب
منك أبغي في ثناك المددا

وقال يرثي أبا عبدالله الحسين عليه السلام:

قم ننظر الركب من وادي الطفوف دنا
وقد علاه سناء باذخ وسنا
ألم تجده كساه الله هيبته
وأهون الأمر أن يستخدم الزمنا
هذا حسين الهدى هذا الذي اجتمعت
فيه فضائلهم من هنا وهنا
هذا الذي لم تلن للضيم صعدته
واسمع حديث الإبا عن صنوه حسنا

ومن رباعياته الجميلة (الصلاة قربان لكل تقي):

قم للصلاة تنل قرب الإله بها
إن الصلاة لقربان لكل تقي
كالنهر يغسل فيه الثوب ما اجتمعت
عليه أدرانه حتى يعود نقي

خلقه وأخلاقه:

اتصف مترجمنا رحمه الله بالخلق العالي وبالنفس السمحة الخالية من درن الدنيا وبهرجها، فلو جلست إلى هذا الشيخ مرة واحدة لعرفت ما يمتاز به مجلسه من أخلاق باهرة، ورصانة طيبة، وأدب جم يستشهد في كل موضوع بآية من القرآن الكريم أو رواية من السنة النبوية المكرمة.

ومن ابرز صفاته، الصراحة المتناهية، فلا يهمه قول ما يراه حقاً مهما كلفه من نفور الآخرين، ولعله كان ذلك سبباً في حبه العزلة والابتعاد عن الاختلاط العام.

ويحمل في ثناياه بشاشة الوجه ورحابة الصدر في استقبال الضيف ممن عرفه أو لم يعرفه ومهما كانت طبقته الاجتماعية، فهو صاحب بيت مفتوح سمح، يطرقه الزائرون والأضياف في كل وقت ومن كل حدب وصوب يجدون فيه ما ينعشهم من البشاشة والسخاء، فكانت هذه خواصه التي يأنس ويستأنس بها، مبتعداً كل البعد عن ملهيات هذه الدنيا بكل زخرفها وزبرجها...

آثاره العلمية:

لابد لكل من يحمل هذه السيرة

العطـرة أن يكـون الكتـاب دليلـه ويكون القلم أنيسه في حله وترحاله، لـذا فقـد ترك لنـا مترجمنـا الكريم موسـوعة رائعة وفكر جـم من الآثار العاليـة زينـت بهـا رفـوف مكتباتنـا العامرة ونورت بها عقولنا:

١ـ كتاب (سياسة الحسين عليه السلام) في جزأين مطبوع.

٢ـ وفاة الإمـام الرضا عليه السلام، مطبوع أيضاً.

٣ـ متـن ألفية الربيعي، منظومة في علم النحو، مطبوع.

٤ـ منظومـة فـي (المنطـق)، مخطوط.

٥ـ منظومة في (العقائد) مخطوط.

٦ـ رباعيات الربيعي، (٤٤٤) رباعية فـي المواعـظ والنصائـح والحكـم والأمثال، طبعت مستقلة ثم لحقت بعد ذلك بطبعة أخرى بالديوان.

٧ـ ديـوان الربيعي، فـي القريض، طبع ثلاث مرات، الأولى سنة (١٣٦٠هـ) فـي النجـف، والثانية سـنة (١٣٦٩هـ) في النجف والثالثة سـنة (١٣٨٦هـ) في النجف أيضاً.

٨ـ ديـوان الربيعـي، فـي الشـعر الشـعبي، طبع مرة مع ديوانه العام، ثم طبع مستقلاً بعد ذلك.

وله بعض النتاج الفكري والثقافي فـي اللغـة والتاريـخ والأدب وبعـض الحواشـي والتعليقـات علـى الكتـب العلميـة نأمل إن شـاء مـن أبنائه البررة ولاسـيما ولده الجليل والأستاذ الفاضل الشـيخ محمد صالـح أن يكملها وهو أهل لذلك إن شاء الله تعالى.

وفـــاته:

انتقـل مترجمنـا (رحمـه الله) إلـى جوار ربـه الكريم في دار (نهر العلم) مـن توابع عبادان وذلـك في ٨ جمادى الثانية سـنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) عزيزاً جليـلاً مكرمـاً بما تركـه من صدقة جاريـة بإرثـه العلمـي وولـد صالـح، بأولاده البررة، فسلام عليه يوم ولادته ويـوم وفاته ويوم يبعـث حياً عند مليك مقتدر...■

(١) ديوان الربيعي، للمؤلف، ط ١٣٨٦هـ.
(٢) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، سالم النديدري، ط ١٩٩٢م.
(٣) الأزهار الأرجية، فرج العمران.
(٤) أعلام العوامية، علي المرهون.
(٥) الذريعة، آغا بزرك الطهراني.
(٦) معجم رجال الفكر والأدب، محمد هادي الأميني.
(٧) اللآلئ الزاهرة، محمد علي الحميدان.

زينة الجنة

روي أن رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) قال: «إذا استقر أهـل الجنة في الجنة، قالت الجنة: يا رب أليـس قد وعدتنـي أن تزينني بركنـين مـن أركانك؟ فيقـول الله عز وجـل: بلى قد زينتك بالحسـن والحسين».

شرح الأخبار للقاضي النعمان٣/ ١١٢

مقام الإمام المهدي(ع)

• سلمان هادي آل طعمة

ينابيع يقع هذا المقام في شمال مدينة كربلاء، ويبعد عن صحن الإمام الحسين بن علي عليه السلام حوالي كيلو متراً تقريباً، وعرف باسم الإمام المهدي الحجة المنتظر (عجل الله فرجه)، حيث قيل أن الإمام قد صلى في هذا المكان وانصرف، يطل هذا المقام بهيبته على الضفة اليسرى من نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات، وهذا النهر يسقي بساتين النخيل المنتشرة على جانبيه، وعلى يمين المقام قنطرة تؤدي إلى مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

إن هذا المزار ذو بناء مشهور، لكن أرضه لم تكن بالسعة بحيث يستوعب عدداً كبيراً من الناس، تعلو المقام قبة عالية مبنية بالجص والآجر، ويقصد المقام أهالي المدينة والزوار لتأدية الصلاة وقراءة الأدعية.

شيد هذا البناء سنة (١٢٧٠هـ) الموافقة لسنة (١٨٥٣م) كما حدثني الرواة، وإني لم أر على جدرانه شيئاً من الكتابات، غير أن السيد محمد باقر بن مرتضى الحسيني يشير في كتابه (الجنات الثمانية) بالفارسية إلى أن تاريخاً وجد على هذا المقام هو سنة (١٣١٥هـ) وكان المقام حسن الوضع، مؤلف من غرفة مشيدة بالآجر ومطلية بالكلس

الناصع البياض يتقدمها باب من الخشب، ولا تتسع الغرفة إلا لعدد قليل من الناس، وأمامها رواق صغير معقود سقفه بالآجر والجص، وفرشت أرضه بالآجر أيضاً، وأطليت جدرانه بالجص والبورق، وكان المشرف على إدارة هذا المقام شخص يدعى (أبو أيوب)، هذا ما كان حاله في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي.

التجديد الأول:

بعد أن تداعى البناء للسقوط، قيض الله له من سعى في عمارته وتجديده، فقد قام ببنائه المحسن الحاج حمزة الخليل وذلك في سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، وأرخ تجديده الشاعر الكربلائي المعاصر المرحوم السيد مرتضى الوهاب بأبيات شعرية كتبت بالكاشي ونقشت على واجهة الباب وهي:

شاد للقائم إذ ضحى (الخليل)
بيت قدس فيه برد وسلام
واعتنى (الحمزة) في تجديده
فاستوى منه عماد ورخام
مذ تجلى نوره أرخته:
(صار للمهدي ركن ومقام)
١٣٧٨هـ

التجديد الثاني:

هدم البناء السابق المار ذكره، وجدده ووسعه محسن حميد الملا مهدي الوزني الخفاجي وذلك في سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) وصار المبنى رحب الفناء، مشيد الأرجاء، جهز بمصابيح الكهرباء، واشتمل على ساحة واسعة ورواق مجاور للساحة، وشيدت على هذا البناء قبة شامخة في الهواء، بديعة مغشاة بالكاشي الكربلائي، وليست هناك نقوش وكتابات داخل المبنى وقد أخذ عشرات الألوف من الزوار يؤم هذا المزار لاسيما ليلة النصف من شعبان من كل عام، حيث تصادف ليلة المحيا ومولد الإمام الحجة المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)، فلا تجد فيه موضعاً لقدم.

التجديد الثالث:

هدم البناء السابق للمرة الثالثة، وجدد بناءه المحسن عباس بن صالح بن مهدي آل بحر اليساري، وذلك في يوم (١٩٩٤/٤/٢٤م) الموافق لسنة (١٤١٥هـ) بكلفة (٣٠٥) مليون ديناراً عراقياً.

والمقام اليوم ذو بناء فخم للغاية، والقبة التي عليه بقياس (٦×٦) متر بديعة الشكل، متقنة الهندسة، مشيدة تفوق القبة السابقة من حيث السمك والمتانة والقوة، وهي مبنية بالآجر والجص، ثم كسيت بالكاشي الكربلائي. وهذا البناء واسع الأطراف تتخلله عدة أبواب للدخول، وكشوانية لخلع الأحذية، ويحتوي البناء على عدد من الغرف، وجدرانه الداخلية مطلية بالنقوش البديعة والآجر الملون، وعليها كتابات قرآنية كتبت بالكاشي الكربلائي.

أما حراسة المقام فموكولة إلى ناظر وعدد من الخدم، ويقصد المقام الزائرون كل يوم لأداء الزيارة والصلاة، وفي صباح يوم الجمعة من كل أسبوع يجتمع فيه بعض الرجال لتأدية قراءة دعاء الندبة، كما تقصده النساء عصر يوم الجمعة من كل أسبوع لتأدية زيارة الإمام الحجة المهدي عليه السلام وتقدم النذور هناك، كما يقصده غالبية الناس ليلة النصف من شعبان حيث يسهرون حتى الصباح، يحيون فيها الطقوس والأدعية الخاصة بمولد صاحب العصر والزمان ■

دراسة في جذور ونشأة مدينة

محلات النجف الأربع أنموذجاً

• حيدر نزار السيد سلمان
كاتب وصحفي

ينابيع لا يمكن النظر إلى تاريخ مدينة النجف الأشرف دون الإطلاع بشكل كاف على الجزء المهم من المدينة وهو محلاتها أو أطرافها الأربعة التي شكلت الحاضنة لمجمل النشاطات السياسية والثقافية والعلمية، كما أنها ومن بين جدرانها وبيوتها وأزقتها نشأ وترعرع قادة الفكر والسياسة والعلوم ليس على مستوى النجف فحسب بل على مستويات عالمية مشكلين ذلك التراث الضخم من الإبداع والنتاج العلمي والثقافي لمدينة اشتهرت بدورها الإنساني والتنويري والسياسي، وعلى هذا الأساس فإن المدخل لدراسة تاريخ مدينة النجف لابد أن يتم من خلال أطرافها الأربعة والتعرف على الجغرافية التاريخية لها كجزء من متطلبات الدراسات التاريخية العلمية الحديثة لتحقيق أكبر قدر من الدقة والوصول إلى نتائج صائبة.

كما هو معروف فالنجف القديمة تتكون من أربعة أطراف تتجاور فيما بينها إلى حد التلاصق والتداخل وهذه الأطراف هي الحويش والعمارة والمشراق والبراق تشكلت على شكل سوار تحيط بالضريح المقدس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث كانت التجمعات السكانية

للنجفيين الأوائل قد بدأت بالسكن حول الضريح المقدس بعد تدفقها من مختلف الأنحاء يجذبها العشق الروحاني وطلب الشفاعة والاقتراب من أمير المؤمنين عليه السلام لتشكل البدايات الأولى لمدينة النجف الأشرف وحسب الموارد التاريخية فإن الهجرات الأولى إلى المدينة الواقعة على حافة الصحراء الغربية وذات الطبيعة الطقسية الصعبة قد سكنت في محلة الحويش المحاذية للطرف الجنوبي للصحن الحيدري الشريف وفيها سكن النجفيون الأوائل ثم جرى التوسع في المحلات الأخرى والحقيقة هذا لا يعني بكل الأحوال أن هناك تباعداً زمنياً كبيراً بل إن السكن في العمارة الواقعة في الطرف الغربي من الصحن الشريف والمشراق في الطرف الشمالي والبراق في الطرف الشرقي كان متقارباً مع السكن في محلة الحويش، وهذا ما أعطى التجمع السكاني صفة التمدن ونشوء مدينة النجف الأشرف كمدينة دينية مقدسة كان السبب في وجودها مرقد الإمام علي بن طالب عليه السلام.

وفي حالة من التفرد المثير للاهتمام فقد نشأ مع كل محلة من المحلات الأربع سوقها الخاص بها على الرغم من قصر المسافات الرابطة بينها ولعل في ذلك ما يشير إلى سكن طبقات اجتماعية متباينة في كل محلة ففي منطقة العمارة كان هناك سوقاً عامراً وكبيراً يتبضع منه أهالي المحلة والمحلات الأخرى كما

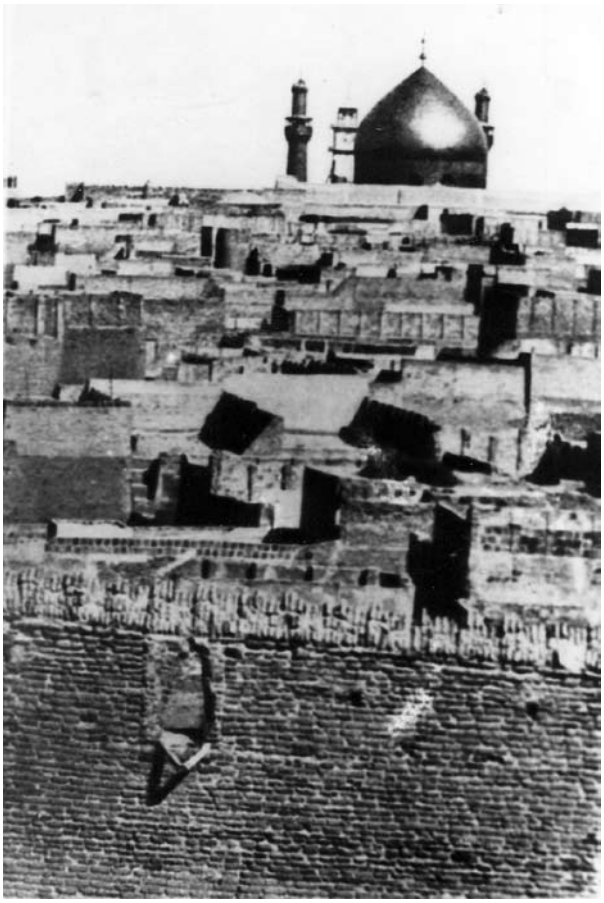

صورة نادرة لسور مدينة النجف الأشرف

طروحات عامة

ضمت العمارة بيوتات لمشاهير الأسر والعلماء الكبار ومن ذلك أسرتا: كاشف الغطاء والجواهري، إضافة إلى شعراء كبار وأدباء تربوا ونشأوا في هذه المحلة فضلاً عن وجود مراقد لشخصيات معروفة، وللحويش سوقها الخاص الذي كان يعد من أكبر أسواق النجف لكن هذا السوق على الرغم من بقائه إلى هذه الفترة عكس سوق العمارة الذي انتهى به الحال مع حملات الإزالة والتوسعة في منتصف الثمانينات من القرن العشرين فإنه يواجه تناقصاً في حركة المترددين عليه من الزبائن والمشترين لبضائعه وهذا الحال نفسه ينطبق على محلة المشراق التي كان لها سوق عامر.

وامتازت محلات النجف الأربع بانتشار المدارس الدينية والمكتبات العامة فيها ومما يجدر الإشارة إليه إن محلة العمارة قد تعرضت إلى تدمير كامل لمكتباتها الكبيرة وضياع لكتبها القيمة وخاصة بعد العام (١٩٩١م) وقمع انتفاضة الشعب، وما زالت محلة الحويش تحتفظ بأكبر المكتبات وأشهرها ومنها مكتبة الإمام الحكيم العامة ومكتبة أمير المؤمنين عليه السلام وفي نفس الوقت تنتشر عشرات المكتبات لبيع وشراء الكتب ولعل ذلك امتداد مستمر لبيع وشراء الكتب في هذه المحلة منذ فترات زمنية تصل إلى قيام حوزة النجف ومدارسها الدينية عام (٤٤٨هـ) مع قدوم الشيخ الطوسي إليها، وهذه هي الخاصية الحضارية للنجف كانت الدور والبيوت المتشابكة والمتلاصقة في محلات النجف الأربع تمتاز بصغر مساحتها وطرازها العمراني الفريد ويمكن النظر من خلال صغر المساحة إلى عملية التزاحم والاقتراب أكثر من مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وزيادة الهجرة إلى المدينة.

وقد حاول الأهالي التخلص من حرارة القيظ الشديد وتحقيق نوع من التوسع من خلال حفر السراديب أسفل الدور، وفعلاً كانت هذه السراديب مكاناً للابتعاد عن الحرارة المتصاعدة في الأعلى والحقيقة لم تكن محلة من المحلات الأربع بمساكنها تخلو من السراديب المختلفة الأحجام والأعماق وهي صفة امتازت بها بيوت المدينة القديمة في النجف الأشرف.

كانت الأسر والعوائل النجفية القادمة إلى المدينة في أغلبها قد جاءت إلى النجف كأُسَر هدفها الرئيس دخول المدارس الدينية والحصول على العلم وهو ما يشير إليه مؤرخ النجف الأبرز الشيخ الجليل محمد جعفر محبوبة في الجزء الأول من كتابه (ماضي النجف وحاضرها) حيث كانت العوائل النجفية على الرغم من ألقابها المختلفة التي تدل على المهن في أصل هجرتها إلى النجف لأغراض دراسية علمية وقد كان التوسع والانفتاح الذي شهدته المدينة فيما بعد جعل من بعض العوائل تتجه اتجاهات أخرى وفي أعمال مختلفة.

كانت الدرابين الضيقة والشوارع والدروب تصل المحلات بعضها البعض الآخر بممرات متصلة وهذا ما يمكن ملاحظته في الدرب الضيق الذي كان يربط بين محلة الحويش والبراق قبل أن يتم شق شارع الرسول في منتصف الخمسينات من القرن العشرين وكان هذا الممر يقع في منتصف شارع الرسول حالياً من جهتي المحلتين المتقابلتين وقد سميت الكثير من هذه الأزقة والدروب الضيقة أما بأسماء العوائل الساكنة فيها أو بأسماء بعض الشخصيات والرموز وكانت تضم الجمعيات والمنتديات الثقافية والعلمية فعلى سبيل المثال كان المقر الرئيس لجمعية منتدى النشر التي تأسست عام (١٩٣٥م) من مجموعة من المتنورين يقع في محلة الحويش فيما ضم شارع الرسول مقر مكتب مجلة (الأضواء) التي صدرت عن جماعة العلماء في النجف عام (١٩٦٠م) وأدت دوراً فعالاً في التثقيف الإسلامي ونشر الوعي بين الناس.

وقد كانت محلتا العمارة والمشراق مقراً لتجمعات ومنتديات ثقافية

صورة جانبية لمرقد الإمام أمير المؤمنين(ع) من جهة طرف البراق

طروحات عامة

وعلمية، وفي المحلات الأربع بدأ النشاط السياسي المعارض للحكومات المتعاقبة وانبثقت من داخلها أحزاب وتيارات سياسية متعددة وكذلك كانت هذه المحلات الأربع مسرحاً لعقد الندوات الثقافية والاجتماعية ومرتعاً خصباً لفحول الشعراء العرب الكبار الذين أوحت إليهم هذه المحلات بالكثير من الأفكار والعبقرية الشعرية وزادت في اتقاد خيالاتهم ولا يمكن نسيان وتغافل الانطلاقة الحقيقية لانتفاضة النجف (١٩١٨م) وثورة العشرين (١٩٢٠م) من هذه الأزقة الحاوية على أصالة النجف ورائحتها التاريخية العطرة.

منذ البداية كانت النجف الأشرف وبسبب موقعها الجغرافي عرضة لهجمات الطامعين والحاقدين وكانت الهجمات الأخطر هي التي شنها الوهابيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والتي تصدى لها أبناء النجف وشبابها من الزكرت والشمرت وهؤلاء الشبان يشكلون المسلحين الأشداء المدافعين عن المدينة ولذلك فقد أحيطت النجف القديمة بمحلاتها الأربعة المحيطة بالصحن الحيدري الشريف بسور حامٍ لها على فترات تاريخية متعاقبة.

فقد كان السور الأول هو الذي بناه عضد الدولة (فناخسرو بن بويه الديلمي) حين تم تعمير المرقد الشريف من قبل البويهيين بين سنتي

صورة قديمة لمرقد الإمام أمير المؤمنين(ع) من جهة طرف الحويش

(٣٦٧-٣٧٢)هـ، وفي العام (٤٠٠هـ) بنى الحسن بن سهلان وزير عضد الدولة سوراً آخر حول مدينة النجف وهو سور أوسع من السور الأول ووسع أحد الوزراء الهنود السور السابق الذي شيده الحسن بن سهلان.

وتشير المصادر التاريخية إن الشاه الفارسي (نادر شاه) قد سور النجف أثناء زيارته إليها في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وكان السور الأخير هو الذي بناه نظام الدولة (محمد حسين خان الاصفهاني) أحد وزراء (فتح علي شاه القاجاري) وقد استمر هذا السور ذو البوابات المتعددة عاملاً حتى عام (١٩٣٧م) حين بدأت المدينة تتوسع شيئاً فشيئاً وكانت بقايا هذا وآثاره باقية حتى منتصف الثمانينات من القرن العشرين حيث أزيل ليحل محله بناء حديث وسط استنكار واستغراب أهالي المدينة ومثقفيها الذين كانوا يرون فيه جزءاً حياً ورائعاً من تاريخ النجف وتراثها وكانت عملية إزالة هذا السور جزء من الحملة المنظمة للقضاء على تراث النجف وآثاره وتاريخها في الوقت الذي تبذل الحكومات في العالم جهوداً جبارة للحفاظ على الآثار وتواريخ الشعوب.

كانت باب اشتابية أو الباب الصغيرة والتي تقع ضمن محلة الحويش في الجهة الملاصقة لجبل الحويش والمشرفة على منخفض بحر النجف من أشهر أبواب هذا السور وكان القادمون إلى النجف من خارجها يحثون الخطى للوصول قبل إغلاق باب السور وقت الغروب حيث كان يجاور كل باب مركز للشرطة كان يسمى أيام العثمانيين بـ(القولوق) ويتم فتح السور صباحاً أما من لم يحالفه الحظ فكان عليه المبيت خارج سور النجف حتى الصباح حين فتحه.

كان الشبان النجفيون من الزكرت ـ وقد جاءت تسميتهم هذه نسبة لصيدهم بواسطة الصقور ـ يخرجون مسلحين إلى خارج النجف باتجاه البراري الصحراوية من جهتها الشرقية للصيد والقنص والتمتع بجمال الطبيعة والأزهار البرية المبهجة التي تتوسط هذه البراري وكانت هذه الرحلات تستمر عدة أيام يعود بعدها شباب النجف محملين بصيدهم الثمين ليأكل منه الجميع داخل أسوار المدينة المقدسة.

كانت محلات النجف وكما تشير إلى ذلك الوثائق التاريخية تشكل جزءاً من نظام خاص حيث تتمتع كل محلة بصيغة تعاقدية وتحالفية وهو ما يمكن أن نراه في ميثاق محلة البراق الذي نص على التكاتف والعمل المشترك ومعاقبة الخارجين عن القانون لذلك فقد كانت المدينة آمنة تتمتع بنوع من الاستقلالية في ظل حكم الدولة العثمانية حتى كان اختيار قائممقامها يتم من العاصمة الأستانة (اسطنبول) مباشرة وكل ذلك راجع إلى أهمية المدينة وقدسيتها ودورها الكبير ■

الحلقة الثانية:

الرمزية والجمال
في فنون العمارة الإسلامية

• د. علي ثويني
معمار وباحث/ مملكة السويد

الألوان في تاريخ العمارة

ينابيع وتعود بواكير تجسيد اللون في العمارة الى العراق القديم من خلال المعالجات اللونية بالفخار المزجج أو الفسيفساء البدائي، الذي غطى جدران المعابد، ونجد أقدم المعالجات الجدارية قد وردت قبل الكتابة في حضارة العبيد[1] وهي تزين معبد (نن خرساك)، ثم معالجات حيطان تل العقير الواقع ٥٠ ميل جنوب بغداد. ونجد بواكير المعالجة بالفسيفساء تقبع اليوم في متحف برلين، بعدما أنتزعت من معبد(أي: أنا) أو المعبد الكلسي في مدينة الوركاء (اوروك) السومرية المبني في أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، والمتكون من مخاريط فخارية مزججة

وملونـه تتـراوح أطوالها بين ١٠-١٥سـم، بالألـوان الأسـود والأحمـر والأبيـض، مثبته بالجدران المطلية بالطين، بشكل هندسـي مختلـف المعالجـات. وهذا هو أصل الفسيفسـاء الذي شـاع في العصور التاريخيـة المتأخرة اتصفت به معالجات العمارة الأموية في كنف الإسلام.

عولجت بالألـوان المختلفة مصاطب الزقورات أو البسـطات السبع المكونة والمهيئـة لعبـادة الآلهـة الفلكيـة لـدى البابليين. فكانـت تعالـج بالألـوان الرامزة للأبراج السـماوية حيـث كانـت الطبقـة الأولـى الخاصـة بزحل تطلـى باللون الأسـود والثانية بيضاء دالة على نجم الزهرة، والثالثة أرجوانية وتـدل على المشـتري، والرابعـة زرقاء وتدل علـى عطارد، والخامسـة قرمزية وتدل علـى المريـخ، والسادسـة فضية وتدل على القمر، والسـابعة ذهبية وتدل علي الشمس.

وكانـت العمارة والفنـون المصرية

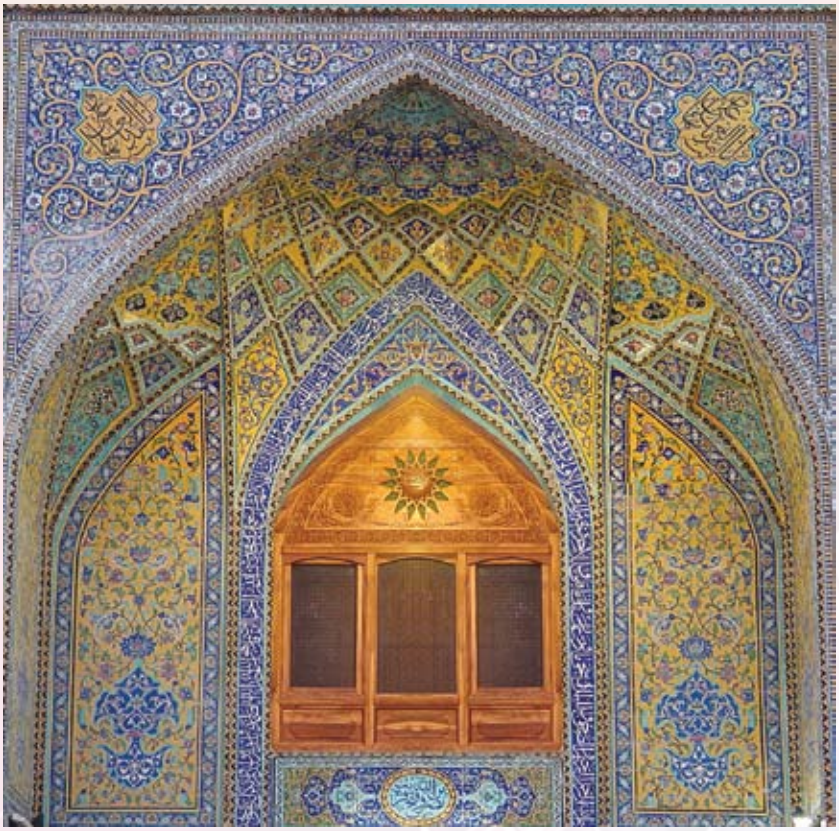

روائع النقوش والزخارف الإسلامية واضحة في أحد أواوين مرقد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(ع)

طروحات عامة

أغنى بالتلوين، بالرغم من اندراس الكثير منه، فكل المعابد التي تعرضت للحث والتعرية فقدت بتراكم الزمن طلاءاتها. ونجد ما تبقى منها في المقابر التي لم تفتح أو في التزويق اللوني الذي اكتنف معالجة توابيت المومياءات وغرفها. وزوقت الرسوم الجدارية بزاهي الألوان ومختلفها، ناهيك عن ألوان الحجر والرخام الذي أضفى بهرجا لونيا طبيعياً.

وفي عمائر المسلمين لعبت الألوان دورا مهما فيها، وباختلاف مدارسها الإقليمية فأنها مارست التزويق اللوني بشتى الخامات البنائية. فنجدها مثلا قد تجسدت بالرخام الملون في عمائر البحر المتوسط الإسلامية، والحال عينه نلمسه في الهند بعد أن حلت به بعض الأعراف اللونية القادمة من الشام والعراق وفارس وآسيا الوسطى على يد بابر ومن تبعه في دولة المغول. ولعب القاشاني (الزليج) دورا حيويا في قطع الرتابة اللونية لعمائر العراق وفارس وآسيا الوسطى وكذلك المغرب والأندلس، كما استخدمت الألوان في العمارة الشعبية في أفريقيا الغربية والشرقية التي تعتبر التلوين طقسا هاما من طقوس البناء وأقترن بالروحانيات ولاسيما مداخل المباني. واللون يأخذ منحى جوهرياً في فنون جنوب شرق آسيا الإسلامية، وكذلك الحال في الصين الإسلامية التي نقلت بعض أعرافها الى آسيا الوسطى ودول الشرق الأدنى من خلال طريق الحرير.

وفي العمائر الأوربية ظهرت المعالجات اللونية في العمارة الإغريقية نتيجة لاستخدام الجرانيت والرخام، والحال عينه نجده في العمارة الرومانية، التي اعتمدت خامات الحجر والرخام الملون لإضفاء مهرجان خيلائي للألوان، ونرى أطنافا حمراء وأسقف صفراء وجدران زرقاء. وقد فقدت تلك العمائر ألوانها بسبب التقادم، وظن أهل عصر النهضة أنها غير ملونة فجاءت تفتقر للون، و اعتمدت لون الخامة البنائية المحاكاة للعمائر الكلاسيكية. و لم تهمل عمارة النهضة اللون كلياً وإنما لم تستخدمه كعنصر مضاف على المبنى، واكتفت باستخدام اللون الطبيعي للحجر الذي لا ينقصه التنوع والجمال. ومرت فترة أخرى حجم فيها اللون واكتفى المعماريون بلون مادة البناء متأرجحين بين الأبيض والأسود مروراً بكل الدرجات اللونية بينهما. ونجد العمارة القوطية قد اهتمت بالزجاج الملون في نوافذها الباسقة التي كانت أشكالها وحجومها واللوحات الفنية في محتواها غاية معمارية بحد ذاتها. و كان لتلك النوافذ الكبيرة تأثير جوهري على فراغاتها الداخلية.

وفي الحداثة التي بدأت مع

العشرينات إلى حوالي السبعينات من القرن المنصرم، أريد للعمائر أن تكون صادقة مع ذاتها، وأن تظهر بحلتها الطبيعية. ولكن مادة البناء الطاغية كانت الخرسانة المسلحة، التي لم تكن ذات جمال متميز، ولونها رمادي باهت كئيب و لا شخصية له. وهكذا انتصبت في مدن العالم كله مبان كالحة تزداد قماءة مع الزمن لتراكم الغبار والأتربة على جدرانها. وكنتيجة لملل الناس واستيائهم من تلك العمارة الباردة حدثت ردة فعل (لونية) معاكسة لها مبنية على قواعد فكرية مختلفة أو متعارضة مع العمارة الحديثة. وهكذا ظهرت (ما بعد الحداثة Postmodern) مكرسة للون كرد فعل للسأم من الطراز الدولي، عاضده إطلاع أساطين عمارة هذا التيار على معطيات البحث الذي أثبت بأن العمائر اليونانية والرومانية كانت تطلى بالألوان.

و عمارة ما بعد الحداثة تيار يحمل دعوة للعودة إلى العمارة التراثية في قالب جديد. كما ظهرت حركات لونية أخرى عرفت باسم عمارة الببغاء أوعمارة الطاووس -Peacock Architecture، و يطلق عليها اللوحة اللونية أو Pallet of colors والتي استخدم المعماريون فيها الألوان الأساسية الأربعة: الأحمر، الأصفر، والأخضر، والأزرق للتأكيد على التشكيل المعماري أو تقوية التتابع الفراغي وللتذكير بأهمية اللون في العمل المعماري. وقد أصبح مفهوما أن استخدام اللون في البيئة العمرانية يضيف إليها بعدا جديدا يأتي من كون الألوان ذات تأثيرات نفسية، تهب إحساسا بالانتماء المكاني للأفراد، وتقلل من الميول التخريبية، وتزيد من الإنتاج وتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة.

الألوان في العمارة الإسلامية

وثمة علاقة أوجدها المسلمون بين الزخرفة اللونية والرياضيات وكذلك الهندسة الوصفية، حيث يذكر العراقي علي الشوك بأن المسلمين كانوا مولعين بالتصاميم التي تظهر فيها الأجزاء الغامقة والفاتحة في الزخرفة متماثلة متناظرة. ويضرب مثلا في قصر الحمراء في غرناطه، وتحديدا في صالة الحريم أو الأسرة، كما يطلق عليها بالأسبانية -Sala de las Camas إذ فيها مثلثات ملونة بالأخضر والأصفر، والأسود، والأزرق الملكي (الضارب الى الأرجواني) فإذا أهملنا لوهلة الجانب اللوني في الزخرفة، سيكون بوسعنا أن ندير الورقة الغامقة بمقدار زاوية قائمة الى وضع الورقة الفاتحة. واذا استمرت هذه العملية من الدوران أربع مرات فإننا نحصل على المربع الفيثاغورسي. ومرة أخرى اذا الغينا الفوارق ´بين هذه الألوان، كما يقترح جاكوب برونوفسكي، العالم البريطاني من أصل بولندي، وفكرنا فقط في المثلثات الغامقة والفاتحة، في قاعة الاستقبال والاستراحة في حمام قصر الحمراء، سنجد أن هناك تعاقبا في التناظر. وإذا ثبتنا بصرنا على نقط

طروحات عامة

الربط، سنرى أن هناك ستة مثلثات تلتقي فيها، وهي غامقة وفاتحة على التوالي، أي أن هناك ثلاثة تناظرات تنتظم التشكيلة. لكننا إذا أهملنا الألوان سنحصل على ستة تناظرات فضائية. هذا التناظر السداسي هو في واقع الحال تناظر بلورة الثلج. ان البنى التي اتخذتها الأنساق المنتظمة في الطبيعة من البلورات، ان البلورات في الطبيعة لها وجوه مسطحة، منتظمة متناظرة، وهذا يذكرنا أيضا بالأنساق الفنية العربية المسطحة والمنتظمة والمتناظرة، ان ذرات البلورة مرتبة في الاتجاهات كافة... وبذلك ننتقل من اللعبة الى علم البلورات، على حد تعبير برونز فسكي في كتابه (الإنسان في معارج الرقي) (Ascent of The Man) إن التفكير في الأنماط التي تعبر عن سائر إمكانات التناظر في الفضاء (في إطار بعدين على الأقل) كان الإنجاز الكبير للرياضيات العربية التي جاء مردودها بعد ألف عام أي في عصرنا الحاضر

إنّ من ابرز خواص المناظرَ اللونية في العمارة والعمران الإسلامي هي ضياؤها، ويعزي البعض من منظري الفن الإسلامي الى أن ذلك يرجع في الأساس الى الفطرة البدوية التي جبل عليها في بيئته الصحراوية المضيئة الساطعة وبسبب جدبها. وقد اعتبرَ الوديانَ المعشوشبةَ التي بحث عنها في مرعاه ووجدها في ترحاله عند أطراف جزيرته كما هو الحال في خضرة بلاد العراق فاعتبرها ذات صفة لونية كالحة بسبب ما أوحى له ذلك من ظلمتها حتى أطلق على العراق اسم: (أرض السواد) لكثرة الخضرة التي وجدها في أرضه. ولذلك اعتبرت هذه الخاصية اللونية من مواصفات الحياة المثالية.

ومن الذين كتبوا عن الظواهر اللونية في العمارة والفن الإسلاميين المنظر الأمريكي (إتينغوسين Ettinghausen)، الذي يعتبر أن استعمال اللّون في العمارة يُمثّلُ (إنجازاً إسلامياً محضاً) ويضيف في ذلك : (إن خصوصيته تكمن في انه يغايرُ ويناقض الكبت أو القيودِ اللّونية التي مورست على البنايات الغربية). ويضيف في ذلك بأن جل المناظر في الأقاليم الإسلامية، التي تَمتدُّ من الأطلسي إلى بَحرِ الصين، يُمكنُ أَنْ تميّزَها عموماً على أنها قاحلة حارة، وأن تلك المساحات الجدباء تتميز بِبضْع ميزاتُ لونية خاصة. ومن المعالجات التي تعتبر جالبة للراحة البصرية والمتعة للمسافر المُرهقِ الذي قطع الفيافي، ثم ولج اللون الطيني المميز لسحنة المدن الخارجية فكان العلاج باللون الفيروزَي أو الخيمة الزرقاء المجسدة في قبة أو سقف مخروطي لضريح أو جامع محلي لاغياً لذلك الملل وكاسَباً راحة بصرية

تنعكس في النفوس.

أما (نادر آردالان) و(لاله باختيار) المعماران الإيرانيان فقد جاءا برأي في المعالجات اللونية الإسلامية[٢]. وهما يَتكلّمُان عن ما يسمى (انسجام التضاد) الذي حققته تلك المعالجة حيث نجد الخيمة الخضرَاء المزرقَة البادية لسقف جامع يُمكنُ أَنْ تزيدَ في الراحة بالتضاد مع النبرة الصّفراء والصفراء الداكنة المنعكسة عن البيَئة القاحلة المحيطة. إن ذلك التضاد والمعاكسة يهَب للناظر تدرج لوني أكثف وأعمق. وهما هنا يُشرحان وجهة نظرهما الصوفية في (التّقاليد اللونية الإسلامية الموروثة التي يمكن اعتبارها نموذجية بالارتباط والتداخل مع السجية الغيبية والتي تدخل في نطاق ثنائية الضّوء والظّلمة كا حتما لا ت دائمة و مستترة في النموذجية السّماوية). وهما يركزان على نّظامين من اللّون يَعتبرانهما تقليديَين، وهما عندما يجتَمعان يشكلان مجموعةَ من سبعة أشكال: أبيض و أسود، لون الصندل، أحمر، أزرق، أخضر، وأصفر. وبتوافق مع المنظر التّقليدي، فان كل لون من هذه الألوان يعتبر ممثلا للأجواء الذاتية وعاكساً للخصائص المميزة لها[٣].

وفي العمارة الإسلامية عموما فإن غزارة تلك الألوان قَدْ استثمرت بحذاقة في التزيين الخارجي وكذلك داخل المساجد، وذلك باستَعمال تلك الصيغة النابضة بالحياة والمتجسدة في التزَجيَجَ المعشق الذي ينسق ويتآلف

العمارة الإسلامية في مسجد يزد الكبير في إيران

طروحات عامة

مع الفسيفساءَ الذي يغلب عليها اللونان الأزرق والفيروزي الغامق. وتعكس مجموعات كلتا الألوان المماثلة والمتُعَارَضَة ما هو موجود في الطّبيعة. ومن خواص الزخارف الإسلامية الصميمة هي تراص الألوان المتعاكسة في المساحات الكبيرة بالألوان المماثلة لها بحيث تتشَابكْ مع المساحات البارزة المميزة (Accentuate) لتَخلُقُ انطباعات لونية زاهية.

ومن المعالجات الصميمة التي تعتمد على نظام الألوان الأساسية الثلاث، والذي يعتَمد في إظهارها على خصوصيات تدرج الظلال اللوني بين الأبيض والأسود حيث تزين بخشب الصندل الذي يَتوسّطُها. ويعتبر الصندل هنا القاعدة المحايدة ليس للأسود والأبيض فقط، بل و أيضا للطبيعة، التي مثلت بالألوان الأربعة الأساسية (صفراء خضراء، زرقاء، حمراء)، والتي يُمكنُها أن تفعل دور الطّبيعة وكذلك في حل إشكالية تُخصّصُ كلَ من هذه الألوان الابتدائية الأربعة .

ويعتبر الأخضر، في المنظور الإسلامي، اللون المهيمن دائما على الألوان الأصلية الأربعة، منذ أن كانت الألوان الأزرق والأصفر الأحمر، تشاهدُ كما هي مُجَسَّدة في لون الطّبيعة، أما امتزاج الأصفر والأزرق فينتج عنه اللون الأخضر، والذي يرى بعد لمحه مع الأحمر بحيث يرمز للأخضر بالأمل، والخصوبة والخلود الملازمة والمرتبطة أساسا مع بعدي اللونين المكونين وهما (الأزرق) الدال على الماضي و(الأصفر) الدال على المستقبل، وما يعاكسهما في ذلك والذي يمثل الزمن الحاضر الذي يبدو أحمر اللون.

ويجدر بنا أن نلاحظ أنّ اللّونَ، الأخضر، لدى الذوق العربي هو الذي يمهد الطريق في حلول اللونين الفيروزي والنيلي (ومن ذلك جاء وصفهم للسماء بالقبة الخضراء). وأما ما يخص اللون الذّهبي، الذي حذق الصنّاع المسلمون باستعماله وقَدّروا خواصه الممتازة مع تلك الألوان الباردة. وقد كانوا متوجسي وملتزمي الحذر من عدم انغماسهم وتماديهم في استعماله لكي لا يصب في الأخر مقلداً لفن الأيقونات المسيحية البيزنطية. وهذا ما دعاه المنظر (تينغوسين) بالـ(الحافز التّزييني) الخاص بالفن والعمارة الإسلاميين والذي جاء إظهاره جلياً صريحاً أكثر من أي فن من فنون الشعوب الأخرى.

ويرد لنا في ما كتبه (غوستاف لوبون)[٤] من أن الألوان التي استعملها العرب في مصر هي الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والذهبي. واثبت (أوين جو نس) الذي بحث في أواسط القرن التاسع عشر خصوصيات الفنون والألوان في قصر الحمراء في غر ناطة

وشارك في ترميمها واصفا إياه بأننا (إذا استثنينا الميناء (الزليج او القاشاني) الذي يغطي اسفل الجدران لم يستخدم العرب في قصر الحمراء سوى الألوان الأزرق والأحمر والذهبي أي الأصفر فرتبت هذه الألوان بذوق حاذق حيث أحدث اللون الأحمر في أساس نقوشه وصبغت حواجزه الجانبية باللون الأزرق على مقياس واسع لتعديل التأثير الناجم عن الأحمر والذهبي وفصل بعض الألوان عن بعضها بعصائب (ضفائر) بيض أو بظل نتوء الزخرف. وإن ما نرى أثره في القصر من اللون الأخضر او الأسمر أو الأرجواني فقد جاء من الترميمات السيئة التي قام بها الأسبان خلال تواجدهم في القصر لاحقا).

ومما يردنا في معرفة الفنانين العرب القدامى بتأثير الألوان البصري فيذكر (المقريزي) واصفاً إحدى مشاهداته لقاهرة القرن الحادي عشر الميلادي بأنه شاهد صورتين جداريتين لاثنتين من المغنيات تبدو إحداهما وهي لابسة ثوبا ابيض على خلفية سوداء وكأنها داخلة الى الجدار الذي صورت عليه والفتاة الثانية ترتدي ثوبا أحمر على خلفية صفراء و تبدو وكأنها خارجة منه.

وعلى العموم فان طبيعة الألوان ومواصفاتها تتحكم في الجانب البصري والجمالي والشعوري بالفضاءات المعمارية للبناء ويمكن للمعمار الحاذق أن يكرس ذلك العمق الجوهري المتوخى من إظهار السطوح و الحجوم بتأثير ألوانها الطبيعية أو المكتسبة في المعالجة . وفي العمارة الإسلامية تتكرس مجموعة من العوامل والخصوصيات المنهجية في تلك المعالجات يمكن إيجازها بالنقاط التالية:

١- احترام الأذواق المخزونة في الذاكرة الشعبية للشعوب الإسلامية المترامية الأطراف وعدم المساس بالموروث من ثقافاتها القديمة وعدم توجيهه ولكن وبالرغم من كل ذلك فان لروح الإسلام وألوانه المحببة الواردة في القرآن الكريم بما لها من رمزية وانعكاسات مباشرة على تلك الأذواق بعد أن ارتضت به عقيدة أثرت فيها و تداخلت في النفوس.

٢- التحاشي الأقصى في إعطاء مواد البناء صفة جديدة تختلف عن خواصها الطبيعية ومشهدها الصريح للعيان وبدون تزويقها بأي (مكياج) مخبئ للعيوب ويمكن أن تكون هذه متعلقة بصدق السجية واجتناب النفاق المرتبط بجوهر العقيدة. وبالمقارنة مع الإغريق الذين زوقوا بناياتهم بالألوان بغاية (التستر) كما يصفها (غوستاف لوبون)[٥].

٣- الأداء المثالي لمواد البناء وذلك بالتحكم في التوجيه للمبنى بحيث يعطي احسن النتائج البصرية وخاصة إذا علمنا أن شدة الضياء الشمسي يختلف مردوده من حيث الاتجاهات فمثلا اللون الأحمر تقل حمرته في الواجهة الشمالية عنها في الواجهة الجنوبية التي يبدو فيها اكثر احمرارا ولدينا احسن مثال يمكن الاقتداء به من حيث تحقيق تلك المثالية لدى معالجة واجهات مدرسة السلطان حسن من العهد المملوكي في

طروحات عامة

القاهرة المبني عام (٧٥٨هـ - ١٣٥٦م) والذي اختير لكل واجهة نفس الحجر الواقع بنفس الاتجاه في مقلع الحجارة في الجبل لكي تحتفظ بنفس المردود وانعكاس اللون الطبيعي.

٤- يرد في المعالجات الداخلية أين يختفي تأثير النور الطبيعي وبغرض خلق أجواء إنسانية صميمة قريبة من النفس ومريحة لها فقد يلجأ لاستعمال الألوان الهادئة الباردة المريحة مثل الأزرق والأزرق الفيروزي والأخضر والتي لها تأثير نفسي مركب على النشاط العضوي للجسم مثل ضغط الدم وارتخاء العضلات. أو حتى من خلال المعالجات بالنحت الناتئ والزخارف المحفورة التي تلعب درجات الظل فيها دورها والتي تسلي الخاطر وتكسب النفس المتعة الفنية.

٥- استعمال الألوان المستقاة مباشرة من المحيط البيئي المحيط وعدم التمادي في الاتكال على صيغ لونية تتطلب جلبها من بيئات ثانية.

٦- الخاصية الفنية في وسع مجال الإبداع من خلال تلوين أجزاء وتفاصيل الزخارف الناظمة وخاصة الأطباق النجمية منها بحيث تهبنا حداً لامحدود وعددا لا يحصى من الخيارات الإبداعية.

الألوان في الحداثة

أختصت الألوان بالفضاءات المعمارية إستنادا على ما يراد منها، فالممرات الضيقة طليت بالأصفر الفاتح (البيجي) لكي يهبها توسعا بصريا ينعكس يسطوا على النفس. مثلما يعتقدون أن بث موسيقى سريعة يوحي بالعجالة لدى الزبائن، كي لا يمكثوا طويلا. وثمة تحفضات جدية في إختيار ألألوان عند إنشاء المستشفيات على المرضى بما يؤثر على ضغط الدم وموجات المخ وضربات القلب (النبض) للمرضى. ويذكر المهندس محمود الحلواني على سبيل المثال بأن اللون اللبنى الفاتح يساعد فى علاج مرضى الصفراء الوبائية وبالمثل تستخدم درجات الألوان الأخرى لتجنب الحرمان الحسى عند بعض المرضى. وبعض الألوان لها إستخدام وظيفى بحت، فاللون الأزرق المائل إلى الأخضر(الفيرزوزي) Blue-green فى حجرة العمليات هو اللون المكمل البصرى للدم وأنسجة الإنسان وهذا يساعد عين الجراح على التركيز فقط على اللون الأحمر فى نطاق العمليات، أما اللون الأبيض والذى كان شائع الإستخدام فهو لون قوى وساطع مما يسببه من زغللة للبصر، لذلك يجب تجنب إستخدامه.

والألوان الدافئة مثل الأحمر والبرتقالى والوردى والأصفر وغيرها تعمل على تحريك المشاعر وتنبيه الحواس وانعاشها مما يساعد المريض

على المثول للشفاء. أما في حالات الأمراض المزمنة التي يضطر فيها المريض للإقامة فترات طويلة فيكون من الأفضل إستخدام اللون الأزرق المائل إلى الأخضر الذي يعمل على استرخاء الجهاز العصبي. وهناك ألوان لا يفضل الجمع بينها في فراغ واحد مثل الأصفر والأصفر المائل إلى الأخضر والأخضر وذلك لأنها تحت إضاءة الفلوروسنت تجعل المريض شاحب اللون، كذلك الأزرق الباهت يبعث على الحزن والكآبة[٦].

وثمة نظرية حديثة تدعى الصوت الصامت وتُعنى بتوظيف اللون في حل الكثير من قضايا الحياة اليومية، ويتم الأمر من خلال إدخال النوعية الأساسية التي تنتجها هندسة التشكيل الحيوي في الفراغ المحيط بواسطة لغة التصميم الشاملة للشكل، واللون، والحركة، و الصوت لخلق التوازن الكامل في وظائف الطاقة الحيوية بمعناه الشمولي مما ينتج عنه تكامل صحي للإنسان، والحيوان، والنبات، وحتى لما نطلق عليه اسم جماد أو مواد غير حية.

إن نوعية الطاقة الأساسية التي ينتجها هندسة التشكيل الحيوي تحتوي على نفس الصفات الذبذبية المكونة لطاقة الأماكن المقدسة. يحول هندسة التشكيل الحيوي نوعية طاقة المكان فيجعلها كتلك الطاقة الموجودة في أماكن العبادة المقدسة. هذه هي نوعية الطاقة المصاحبة لكل الأنشطة الروحية، وهي العامل الأساسي المستخدم في علم الهندسة المقدسة وهندسة التشكيل الحيوي كما استخدمت دائما في العمارة منذ الحضارات القديمة إلى يومنا هذا ■

---

(١) وتسمى هكذا على أسم قرية العبيد التي تبعد ٧ كلم من مدينة الناصري في جنوب العراق، وهذه الحضارة سبقت السومرية، ويرجح أن تكون بواكيرها وتركت أثارا منذ الألف الخامسة قبل الميلاد.

(٢) إحساس الوحدة The Sense of Unity)الصادر في نيويورك عام(١٩٧٣)

(٣) د. رافع ابراهيم حقي - جامعة الملك فيصل- مقال: الألوان في العمارة فن ووظيفة

(٤) عالم اجتماع وطبيب ومؤرخ فرنسي (-١٩٣١-١٨٤١) وأشهر مؤلفاته (السيكولوجية الجماعية) والذي حلل فيه تصرف التجمعات البشرية. وقد أشتهر لدى العرب في مؤلفه الرائع حضارة العرب الذي أصدره في العام ١٨٨٢ إبان غلواء عهد الاستعمار الغربي وترجمه أحمد زعيتر عام ١٩٣٤. وقد كان هذا الرجل من أوائل المنصفين للتاريخ والتراث العربي ومنزلته السامية في الثقافة العالمية.

(٥) غوستاف لوبون، حضارة العرب بيروت ١٩٧٩.

(٦) محمود الحلواني - كتاب أسس تصميم المستشفيات - فصل الألوان في المستشفيات.

الحلقة الثانية:

البرزخ

دراسة علمية حول عالم البرزخ في الأحاديث والعرفان

• أسامة النجفي

الرؤية العرفانية لعالم البرزخ

ما يلي هو ملخص مفيد من كتاب معرفة الله لسماحة العارف بالله آية الله الحاج سيّد محمّد حسين الحسيني الطهراني قدّس سرّه الشريف ويحتوي على نكت مهمة وجليلة.

انّ الله سبحانه يخاطب أهل جهنّم في الآية ١١٢، من السورة ٢٣: المؤمنون. (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرض عَدَدَ سنينَ. قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ. قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إلا قَلِيلاً لَوْ أنكم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

فقد عُبّر في هذه الآيات عن الحياة و العيش في الأرض بلفظ اللبث الذي

يمتلك معنى التوقّف والإقامة المؤقّتة، وهو ما يصدق على من يطوي طريقاً طويلاً ثمّ يتوقّف أثناء الطريق فيمكث قليلاً. كما لو انّ الإنسان يأتي إلى هذا العالم من عالم آخر فيلبث فيه ويتوقّف مدّة ثمّ يرحل عن هذا العالم ويُهاجر، وهو ما يصدق على الروح و النفس الآدميّة التي كانت في عوالم الذرّ ثمّ جاءت إلى عالم المادّة فارتدت لباس المادّة على الأرض، ثمّ خلعت هذا اللباس وتركته مرتحلة نحو عالم البرزخ والقيامة. انّ الروح تخلع لباس البدن المتهرّي فترتدي الخلعة الإلهية أو تبتلي بالعقاب جزاء أعمالها. لذا فانّ التعبير عن توقّف الروح في الدنيا بلفظ اللبث في هذه المحاورات تعبيرٌ صحيح، أما لو كان الخطاب موجّهاً لإنسان قوامه بدنه فهو يفنى بفناء بدنه وموته، فلا ينبغي آنذاك التعبير بلفظ اللبث والتوقّف، بل ينبغي استخدام لفظ السكن والإقامة وأمثالها.

يروي الصدوق في كتاب (معاني الأخبار) عن محمّد بن القاسم المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسيني عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: دخل على بن محمّد عليه السلام على مريض من أصحابه و هو يبكي، ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد اللّه تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسختَ وتقذّرتَ و تأذّيتَ من كثرة القذر الوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمتَ أنّ الغسل في حمّام يُزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلي يا ابن رسول اللّه، قال: فذاك الموت هو ذلك الحمّام وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيّئاتك فإذا أنت وردتَ عليه وجاوزتَه فقد نجوتَ من كلّ همّ وغمّ وأذى، ووصلتَ إلى كلّ سرور و فرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسبيله.

وكذلك يروي المرحوم الصدوق في (معاني الأخبار) بنفس السند عن الإمام على النقي عليه السلام أنّه قال:

قيل لأبي محمّد الجواد محمّد بن على بن موسى (صلوات اللّه عليهم): ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء اللّه عز و جل لأحبوه ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا، ثمّ قال عليه السلام: يا أبا عبد اللّه ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء. قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنّهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السّلامات.

وكذلك يروي في نفس الكتاب عن محمّد بن القاسم المفسّر الجرجاني، عن أحمد بن الحسن الحسيني عن الحسن بن على

طروحات عامة

الناصري، عن أبيه، عن محمّد بن على الجواد عليه السلام قال: قيل لعليّ بن الحسين عليهما السلام: ما الموت؟ قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، و فكّ قيود و أغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطي المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل آنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب.

الموت هو نوم ثقيل والنوم هو موت خفيف

لقد كان القصد من ذكر هذه الروايات بيان أنّ الروح حيّة بعد الموت معذّبة أو منعّمة، أشبه بالحلم الذي يراه الإنسان في النوم فهو امّا مسرور برؤية المناظر الخلاّبة أو مغموم بمشاهدة المناظر المرعبة المحيّرة، فكلاهما ينبع من مقولة وأساس واحد. يشهد على هذا الأمر انّه يروي عن كتاب معاني الأخبار بنفس السند الأخير الذي ذُكر، عن الإمام محمّد النقي عليه السلام أنّه سُئل عن حقيقة الموت فقال: هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلا أنّه طويل مدّته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة، فمن رأي في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره؟ فكيف حال فرح في النوم و وجل فيه؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له. فهذه الرواية صريحة في ان النوم و الموت كلاهما واحد، غاية الأمر انّ الموت أعمق و أثقل بقدرٍ ما، بينما النوم أخفّ و أكثر سطحيّة. ولذا يمكن القول أنّ الموت هو نوم ثقيل، وانّ النوم هو موتٌ خفيف سطحيّ.

و على هذا الأساس فقد ورد في مصباح الشريعة، طبع (مركز نشر كتاب) طهران ١٣٧٩ هـ، الباب ٤٤، ص٢٩: قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَاسْتَدِلَّ به على الْمَوْتِ الَّذي لاَ تَجِدُ السَّبيلَ إلَى الانتباه فيه وَالرُّجُوعِ إلَى إصْلاَحِ مَا فَاتَ عَنْكَ).

وكذلك روي في الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ١٨٩ شركة مكتبة و مطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر، الطبعة الرابعة، عن رسول الله صلي الله عليه و آله و سلّم: النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَلاَ يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ. ورواه في كنوز الحقائق، ص ١٤٣، بهذه العبارة:

النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لاَ يَنَامُونَ وَلاَ يَمُوتُونَ.

ماهيّة حقيقة النوم؟

لقد تحيّر جميع فلاسفة العالم وحكماؤه الكبار في ماهيّة حقيقة النوم، كما إنهم متحيّرون في ماهيّة

الموت، فلم يستطع أحد منهم حتى الآن أن يدرك أسرار النوم ويكشف الستار عنه، كما لم يستطع أحدهم منهم أن يدرك أسرار الموت ويصل إلى حقيقته. والفارق الذي يمكن وضعه بين هذين الاثنين أنّ البدن يسكن حال النوم فتقلّ فعاليّته وأعماله التي يقوم بها، فيقلّ جريان الدمّ وترتاح الأعصاب وتسترخي بدرجة أكبر، وينبض القلب وتعمل سائر الأعضاء الرئيسيّة والثانويّة والجوارح والأمعاء بدرجة أخفّ وتستمر في عملها، ويفقد البدن من حرارته إلى حدّ معيّن، لذا تكثر إصابة الإنسان بالبرد حال النوم، ويتوجّب عليه لذلك تدثير نفسه بدثار وغطاء، لكن الأمر ليس كذلك حال الاستيقاظ، فَلِمَ يكون ذلك؟ ذلك لان الروح تقلل علاقتها ورابطتها بالبدن حال النوم، لكنها لا تقطع تلك العلاقة والرابطة، بل تبقي تلك العلاقة باقية إجمالا، لذا فانّ البدن يقوم بأعماله بواسطة هذا القدر من العلاقة الإجمالية. امّا عند الموت فانّ الروح تقطع علاقتها ورابطتها بالبدن كليّاً و تنصرف إلى عالم التجرّد المحض المطلق. وكما انّ الروح تتحرّك حال النوم إلى عالم التجرّد عموماً، وهو نفسه عالم الملكوت الأسفل وعالم الصورة والمثال، فيرقد البدن على الأرض؛ فكذلك تتحرك الروح عند الموت إلى ذلك العالم أو إلى الملكوت الأعلى وعالم المعنى وعالم النفس فتترك البدن وتدعه وشأنه. لذا فانّ النوم هو الموت لعدّة ساعات، كما أنّ الموت هو النوم الدائمي المستمر، ولا فرق هناك بين الموت لعدّة سنوات أو لعدّة مئات من

السنين أو لعدّة آلاف منها؛ كما لا فرق هناك بين النوم لدقيقة واحدة أو لساعة واحدة أو لعدّة ساعات. وكما قد لوحظ انّ هناك حالات متفاوتة لدرجات النوم، فالبعض ينامون نوماً خفيفاً بحيث يستيقظون لأدنى صوت أو حركة، بينما ينام البعض الآخر نوماً ثقيلاً، والبعض الآخر نوماً أثقل بحيث لا توقظهم الحركات الشديدة وهدير الطائرات وصوت الرعد، فانّ بعض الناس لهم موت خفيف، فهم يُبعثون ويهاجرون بمجرّد الدعوة إلى مقام عزّ ذي الجلال والحركة للقيامة الكبرى، في حين انّ موت البعض الآخر ثقيل وأثقل بحيث ينبغي النفخ في الصور لتستيقظ الأرواح و تُبعث فتحضر في القيامة الكبرى. ويمكن القول إجمالا بعبارة أخرى انّ الإنسان ينام حال حياته وعيشه نوماً مؤقّتاً وقصيراً ثمّ يستيقظ، ولكنّه ينام حال موته نوماً طويلاً ثم يستيقظ بعده ويُبعث حيّاً. فهذا الإنسان سيحضر يوم القيامة في هيئة أخرى وشكل آخر، هو الصورة والهيئة الواقعيّة لنفسه الناطقة.

ثلاث مراحل وجوديّة للإنسان

هناك ثلاث مراحل وجوديّة للإنسان: الطبع و المادّة، الذهن والبرزخ، الروح والنفس.

فإن الإنسان يمتلك مراحلاً ثلاثاً، الأولى: بدنه الذي يعبّر عنه بعالم الطبع والمادّة. والثانية: القوى الفكريّة والتخيّليّة التي يعبّر عنها بعالم المثال والصورة. والثالثة: روحه ونفسه التي يعبّر عنها بعالم النفس. فهذه المراحل الثلاث غير منفصلة عن بعضها، بل متّصلة ومتداخلة. فهي ليست كمثل حبّة من الحمص نضعها جنب حبّة من اللوبياء، ولا كمثل ملعقة نضعها داخل كوب ونضع الكوب داخل وعاء، بل لا انفكاك للبدن عن الصورة ولا للصورة عن الروح، فإن البدن مندكّ في الصورة والصورة مندكّة في النفس.

تشبيه: انّ الجوزة الواحدة أو حبّة اللوز الواحدة تمتلك جسماً، وتمتلك زيتاً، وتمتلك عصارة، فالمرحلة الأولى هي جسمها الذي يمثّل هيكلها، والمرحلة الثانية: الزيت الذي ليس خارجاً عن الجسم، بل منتشر مبثوث في جميع أعضاء وأجزاء هذا الجسم وله حكم روحه.

والمرحلة الثالثة: الجوهر والعصارة الذي ليس منفصلاً هو الآخر عن الزيت، بل منتشر في جميع ذرّات الزيت وله حكم روحه.

بيد أنّ هذا التشبيه يتفاوت مع مورد بحثنا في اندكاك البدن في الصورة،

والصورة في النفس في جهتين:

الأولى: انّ العصارة والجوهر في حبّة اللوز مندكّة في الزيت، والزيت مندكّ في حبّة اللوز، في حين أن الأمر معكوس في مورد البحث، فالجسم مندكّ في الصورة والمثال، والمثال مندكّ في النفس.

والجهة الثانية: انّ العصارة في حبّة اللوز هي داخل الزيت حقيقةً، والزيت داخل أجزاء الحبّة حقيقةً؛ أمّا في مورد البحث فليس في الأمر تداخل؛ بل ان للروح إحاطة بالمثال وشمول له، وللمثال إحاطة بالبدن وشمول له، لكننا نقول من باب ضيق التعبير بانّ البدن داخل في المثال والمثال داخل في النفس.

و على كلّ حال فإننا نقول في هذا التشبيه بأنّ بدن الإنسان يشبه حبّة اللوز، و عالم المثال و الصورة في الإنسان كزيت اللوز، كما ان عالم نفس الإنسان و روحه كجوهر اللوز و عُصارته.

اننا نرى جميعاً بدن الإنسان ـ الذي هو طبعه و مُلكه ـ و نحسّ به، أمّا مثاله الذي هو عالم ذهنه فمجرّد يمثّل عالم ملكوته الأسفل، كما انّ نفسه التي هي روحه لها تجرّد أكثر، فهي تمثّل عالم ملكوته الأعلى. ان روح الإنسان ونفسه الناطقة لا تخضع للتغيّر و التبدّل منذ ولادته الى زمن رحيله، بل تبقى معه فتحدّد معالم شخصيّته الإنسانيّة، بيد انّها تمتلك تكاملاً يرتقي بها من مراحل الاستعداد والقابليّة إلى مرحلة التعيّن والفعليّة.

عالم ذهن الإنسان

إنّ عالم ذهن الإنسان ومثاله، الذي يُدعى أيضاً بعالم البرزخ، لا يتغيّر ولا يتبدّل بل يطوي مراحل من مراحل التكامل. على انّ بدن الإنسان في حال تغيّر وتبدّل دائميّ، فهو يفقد كلّ يوم أجزاء منه ويضيف إلى نفسه أجزاء جديدة أخرى، حيث يقوم الغذاء بتعويض الاجزاء المنحلّة والتالفة من الجسم، وعليه لذلك ان يصل إلى تلك الأجزاء فيملأ مكان الاجزاء التالفة ويرمّمها. وحين ينام الإنسان فانّه يريح بدنه على الأرض، لكنّ عالم مثاله وذهنه لا يرقد على الأرض، بل يبقى متيقّظاً متحرّكاً يحلّ المسائل الفكريّة ويقوم بالعبادة وبالمجادلات والمنازعات، وبالنكاح، ويحلّق في السماء ويسبح في البحر ويقوم بآلاف الأعمال بصور مختلفة نعبّر عنها بالحلم والرؤيا. وهكذا نراه يصبح في بعض الاحلام عصبيّاً ومنزعجاً ينازع ويقاتل والخوف والحيرة تملأ كيانه، كما نره في بعضها الآخر مستغرقاً في السرور والانبساط ليّناً مسالماً الى أبعد الحدود. ثمّ ينهض من النوم فيخيّل إليه انّ بدنه قد قام بتلك الأعمال وانّه قد حلّق فعلاً بهذا البدن الترابيّ ونازع وجادل وقاتل وقام بالأسفار الطويلة. فيستفسر من رفيقه وصاحبه الذي كان صاحياً: ما الذي فعلتُ؟ وأين ذهبتُ؟ وكم شخصاً قتلتُ؟ وما المباهج التي تمتّعتُ بها؟

طروحات عامة

فيقول رفيقه في جوابه: لا شيء، لا شيء مطلقاً، فقد كان بدنك مطروحاً على الأرض بلا حراك، ولم يبدر منك أبداً أي حركة ولا كلام. بلي، لم يقم بدنه بتلك الأعمال، ولم يرتجل لسانه اللحميّ تلك الخُطب، كما لم تشاهد عيناه الظاهريّتان القابعتان في فجوتي رأسه مناظر الحلم العجيبة المدهشة، ولا سمعت أذناه اللتان قوامهما اللحم والعظم تلك الأصوات وذلك الهدير والضوضاء. الأفعال التي يفعلها الإنسان النائم في حال الرؤيا والموت، يفعلها ببدنه المثالي لقد كانت روحه تتحرك في عالم النوم ببدنه الملكوتي و المثالي، وكان بدنه المثالي والصوري يجترح هذه الأعمال، و لا علاقة في الأمر أبداً بالبدن المادي اللحميّ. وكذلك فانّ الأعمال التي يقوم بها الإنسان حال الصحو والاستيقاظ انّما تقوم بها روحه بصورتها الملكوتيّة تلك، غاية الأمر انّ عالم الطبع قوي و عالم المثال ضعيف، لذا فانّ الروح لا تقوي على انجاز جميع الأعمال التي ترغب في انجازها بواسطة البدن، وتمنع غلبةُ عالم الطبع الروحَ من كثير من رغباتها. على أنّ هذه الروح تقوم بصورتها المثاليّة حال الصحو والاستيقاظ بالكثير من الأعمال، فتحرّك جسد الإنسان وبدنه في متابعتها، مثل جميع الأعمال التي يقوم بها البدن. ولكنّها أيضاً تقوم بالكثير من الأعمال مستغنيةً عن البدن؛ وفقط تقوم بها في هيئتها المثالية، كما يحصل حين يكون المرء جالساً فيتحرّك بقواه الذهنيّة إلى مكّة المكرّمة، فيحرم في الميقات، ويدخل مكّة فيطوف ويصلّي صلاة الطواف، ثمّ يسعي بين الصفا والمروة، ويقصّر و يقوم بأعمال الحج من الإحرام والوقوف بعرفات والمشعر والهدي ورمي الجمار والحلق وباقي المناسك ثمّ يعود إلى حيث كان، وقد قام بجميع هذه الأعمال بصورته الملكوتية حال الصحو، ولم يتحرّك بدنه خلالها من مكانه أبداً. وذلك لان أفراد الناس يقومون حال اليقظة بصرف اهتمامهم الحقيقي إلى بدنهم فلا يستطيعون انجاز جميع اعمال النفس بهذا البدن.

أمّا في عالم النوم فيصبح الاهتمام والعناية بالبدن أضعف، فتدرك روح الإنسان حقيقتها بصورتها المثالية بدون ملاحظة البدن المادي، وتقوم بجميع الأعمال التي تشاءها في قالب المثال والصورة. في حال الصحو واليقظة تكون الغلبة للتوجه إلى البدن وصرف الاهتمام إليه، لذا يخال للإنسان انّ البدن هو حقيقته، امّا في حال النوم فانّ الغلبة للاهتمام بالصورة والقالب

المثالي، لذا يتصوّر الإنسان انّ حقيقته هي تلك الصورة والبدن المثالي. وحين تتصوّرون حال اليقظة إنكم تذهبون إلى مكّة، بينما تجلسون هنا، فانكم قد تصوّرتم مكّة وقيامكم بالمناسك، أمّا في عالم النوم فانكم قد ذهبتم بأنفسكم إلى مكّة، وذلك لان الصورة المثالية في النوم هي حقيقة الإنسان، ولم يكن الأمر انّكم كنتم هنا فتصوّرتم الذهاب إلى مكّة خارج وجودكم. وعلى هذا الأساس فانّ الإنسان يمكنه القيام بأعمال مهمّة في عالم النوم يعجز عنها في عالم اليقظة، لأنه يحاول أن يفعل ذلك حال اليقظة ببدنه الماديّ فلا تسعفه القدرة على فعل ما يشاء، امّا عند النوم فانّه يُلقي ببدنه المادي ويفعل أفعاله ببدنه الصوري والمثالي الذي يفوق البدن الماديّ في قدرته آلاف المرّات، فيجترح الأعاجيب، ويحلّق في السماء، ويجتاز من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة، ويسبح في المحيط الأطلسي فيعبره، ويخترق الجدار، و ينفذ من فتحة صغيرة ضيّقة بقدر الإصبع، ويختم القرآن في لحظة واحدة، وأمثال هذه الأمور التي يعجز عن فعلها حال الصحو واليقظة. كما انّ الإنسان يخلع بدنه كليّاً عند الموت فيصبح تجرّده آنذاك أقوى وروحه أكثر تحرّراً وقدرة، لذا تصبح أعماله أعجب، فيصير بإمكانه أن يقوم في لحظة واحدة باكتساب العلم بجميع الجهات من عوالم الطبيعة وكيفيّاتها، وان يمرّ على جميع أهله وعشيرته فيطلّع على أحوالهم، وأن يقبل جميع الهدايا التي يرسلها إليه أصدقاؤه وأرحامه على هيئة خيرات ومبرّات تظهر بصورة رحمة ونور يمثل غذاءه المعنوي الذي يتمتّع به، كما يمكنه ان يفوز بالعلوم الكليّة الالهيّة، وان يطّلع على حالات نفوس الناس وعلى أوضاع أهل جهنّم و أهل الجنّة وكيفيّة الوقوف والحساب والميزان بالنسبة لهم. ونظير هذه الإحاطة العلميّة تحصل لأولياء الله في هذه الدنيا حال حياتهم ويقظتهم، وكثيراً ما أمكن حصول ذلك لسالكي طريق الله الذين لم يصلوا بعد الى مقام التجرّد المطلق، وذلك بصورة الحال في النوم أو في اليقظة لا بعنوان ملكة مستديمة.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ■

أبو الشمقمق

كان أبو الشمقمق الشاعر الظريف المشهور قد لزم بيته لأطمار رثة كان يستحي أن يخرج بها إلى الناس، فقال له بعض أخوانه يسليه عما رأى من سوء حاله: أبشر يا أبا الشمقمق فقد روي أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة.

فقال له: إن كان ذلك حقاً فوالله لأكونن بزازاً يوم القيامة.

لقاء مع..
الأديب جابر الكاظمي

• أجرى اللقاء
أحمد الكعبي الطويرجاوي

ينابيع خدمة الحسين عليه السلام وأهل بيته، شعار طالما رفعه المحبون، الذين هاموا في عشق سفن النجاة، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، لذا فقد وظفوا جميع إمكانياتهم وجهودهم في سبيل أحياء أمرهم.

وكان للشعراء نصيب وافر من هذه الخدمة، فقد كانت قصائدهم مشاعلاً وقّادة تلهب حماس الموالين وتجعلهم في اتصال دائم بسادتهم الأئمة الأطهار عليهم السلام.

ومن هؤلاء الشعراء برز شاعرنا المبدع الذي حللنا ضيوفاً عليه في دمشق، حيث المقام الملائكي لعقيلة الطالبيين الصديقة الصغرى زينب بنت علي عليها السلام، الحاج جابر الكاظمي، الطير المهاجر الذي تناثرت أغاريده بين البلدان وإنسابت كلماته عبر الأثير، فأخذت من النفوس كل مأخذ، وبذا فقد نال أعلى وسام يتشرف بحمله السيد قبل المسود والمولى قبل العبد الا وهو (خادم العترة الطاهرة)، قلبنا معه صفحات من حياته وأخرى من رحلته في عالم الشعر

ينابيع: لابد لنا في البداية من معرفة هويتكم بما فيها حالتكم الإجتماعية:

الكاظمي: جابر بن جليل بن كرم البديري، من مواليد مدينة الكاظمية المقدسة التي تشرفت بالانتساب إليها، ولدت فيها سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، فتحت عيني على عائلتي المتكونة من والدي ووالدتي وأخوين كنت ثالثهم، وقد كان والدي الحاج جليل من شعراء الكاظمية آنذاك وقد افتقدته سنة ١٩٦٩م، حيث كان عمري حينها أربعة عشر سنة، وهو كما ترون عمراً يحتاج فيه الصبي إلى والد يرشده، لكن وبحمد الله واصلت طريقته في خدمة أهل البيت، أما أخواني فالأكبر الشيخ عبد الستار الكاظمي والأصغر الشاعر الدكتور عادل الكاظمي وهو أيضا شاعر حيث كتب بالمهجر عدة

قصائد تضمنتها دواوينه وأشهرها ديوان (ألف بيت في وليد البيت عليه السلام)، أما حياتي العائلية الآن فأعيش مع زوجتي ولدي أربع أولاد أكبرهم (علي) سار على منهجي شاعراً ولكن باللغة الإنكليزية.

ينابيع: متى كانت أول قصيدة نظمتها؟

الكاظمي: أول محاولة شعرية كانت عام ١٩٧٢م، وفي عام ١٩٧٤م كانت أول قصيدة نظمتها للإمام الحسين عليه السلام مطلعها:

صار الوداع الرهيب
والكلب شاجر لهيب
ساعة التوديع حلت
بين محبوب وحبيب

وقد قرأها الأستاذ السيد مرتضى السندي عام (١٩٧٦م) في مدينة الكاظمية آنذاك وكان هو الرادود الأوحد صاحب صوت جميل وأداء رائع.

واصلت مسيرتي مع هذا السيد الجليل إلى عام (١٩٨٠م)، وقد هُجر السيد السندي في الشهر الرابع.

ينابيع: وما هي معاناتكم أيام السلطة البائدة

الكاظمي: بعد هجرة السيد السندي، كان لزاما علي أن أهاجر لأن النظام البائد كان يتتبع حركاتنا ويرصد أي تجمع لمحبي الحسين، الذين تعرضوا للاعتقال تارة وللقتل أخرى وللتهجير والهجرة تارة أخرى، فاخترت الهجرة إلى سوريا، حيث مكثت فيها عامين... ومن ثم سافرت إلى إيران وأستقر بي المقام في العاصمة طهران، وهناك قمت بإعداد برنامج اسمه (نادي الشعر الشعبي) وذلك عام (١٩٨٢م) وبقيت فيه إلى عام (١٩٨٨م) أذيع من إذاعة طهران/ القسم العربي... وبعد ذلك البرنامج كنت أزاول مهنتي وهي (الصياغة)، التي بقيت فيها حتى عام ١٩٩٠م، ثم عدت إلى سوريا ومن ثم قررت السفر إلى لندن حيث أقيم فيها منذ ستة عشر عاماً.

ينابيع: عرف عنكم تمكنكم من النظم بالفصحى والدارج فأيهما أحب إليكم؟

الكاظمي: لا فرق عندي بين كلا النظمين شرط أن يتوفر في بناء هيكل القصيدة ما يمكن طرحه كصياغة جديدة وفق رؤية جديدة، يمكن أن يطلق عليها (حالة إبداعية).

ينابيع: هل تأثرت بشعراء قرأت لهم وحفظت من شعرهم؟

الكاظمي: كان تأثري الشديد بالشاعر السيد علي الموسوي الكاظمي الذي لازمته ردحاً من الزمن، ولكنه امتدت له اليد المجرمة التي حصدت آلاف الأعناق الشامخة، فمضى شهيداً ورأيت من الوفاء أن أطبع له ديوان اجمع فيه شيئاً من شعره والحمد لله فقد وفقت لذلك.

ينابيع: أخر قصيدة كتبتها يا ترى لو كنت في العراق هل ستكون بنفس مفرداتها أم ستتغير ؟

الكاظمي: كما ذكرت آنفاً فقد تأثرت في البداية وقلدت في شعري ولكن في سنة ١٩٧٦م استقلت مفردتي عن التقليد بفضل أهل البيت عليهم السلام، ومنذ ذلك الحين لم تتغير تلك المفردة عندي بغض النظر عن المكان والزمان فهي واحدة سواء كانت في العراق أو في بريطانيا أو....

ينابيع: قصيدة كتبتها وتراها الأقرب إلى نفسك؟

الكاظمي: قصائدي كلها قريبة إلى نفسي فهي كأولادي لا أميز واحدة عن الأخرى، إلا اني أرى في بعضها خصوصية تختلف عن غيرها، خذ مثلا قصيدة: (قسماً بالشفع وبالوتر، والفجر وليال عشر، أسقي الأطفال من الماء، أو تسقي الميدان دمائي) التي نظمتها في حق أبي الفضل العباس عليه السلام فقد كتبتها بيدي وأنا اسمعها تتولد في أعماقي، كذلك قصيدتي (السماء انفطرت، والنجوم انكدرت، حينما غاب الحسين).

ينابيع: كيف تنظر لواقعة كربلاء، وما هو رأيك فيمن يحاول تسييسها لغرض معين؟

الكاظمي: واقعة كربلاء هزت كل المشاعر ومنها استلهمت الشعر أم من يحاول تسييها لغرض شخصي أو فئوي معين فلا جدوى من عمله فالحسين للكل ومن حق الكل أن يفتخروا بانتمائهم لهذه المدرسة العظيمة وأنا اعتبر نفسي ممن وفقهم الله ليكون من اصغر تلاميذها.

ينابيع: من خلال رؤية الأديب جابر الكاظمي، هل أن (صبراً يا آل محمد) تطبق على الواقع الذي نعيشه في العراق حالياً؟

الكاظمي: قصيدة (صبراً يا آل محمد) لم أكتبها بل هي التي كتبت مفرداتها بنفسها، حيث استيقظت من النوم ففوجئت بهذا الخبر الأليم والمفزع للمشاعر والألباب، الاعتداء الغاشم على قبة الإمامين الهمامين العسكريين عليهما السلام فاهتزت مشاعري وفاضت عيني بدموعي ومعها جاشت في صدري لبانات بهذه الكلمات، فتغلبت على قلمي، أي لم أرحل بمخيلتي أوأتكلف بيراعي ولكن الحدث فرض مفرداته وكانت هذه القصيدة، وفيها أيضا أنقل معاناة اهلنا في العراق ولعل البعض يقول أنتم في الغربة تتنعمون بالأمن والهدوء واهلكم يعانون ما يعانون في العراق، وأنا أرد على هؤلاء بأننا نتعذب بعذابات أهلنا وهل يطيب لنا المقام في الخارج ونحن كنا نحلم باليوم الذي يزول فيه الكابوس الذي جثم على صدر العراق؟

ينابيع: ونحن في خضم الحديث معكم نسينا أن نسألكم عن مدى ارتباطكم برواد المنبر الحسيني.

الكاظمي: بدأ تعاملي الأدبي مع خدام ورواد المنبر الحسيني في السبعينيات من القرن المنصرم كالسيد مرتضى السندي الذي تقدم ذكره... ثم تعاملت مع المنشد الكبير والقدير الحاج جاسم النويني والحاج محمد العبدلي والشيخ عبد الرسول عبد الزهرة وملا طارق الكاظمي... والشهيد عباس العارضي، بعد هذا الجيل الحسيني... تعاملت مع رواد المهجر في مطلع الثمانينات في إيران منهم الحاج عباس الكوفي والحاج بشير النجفي وملا جليل الكربلائي وملا علي باشا والسيد حسن الكربلائي وملا ناظم الكربلائي وغيرهم... أما بالنسبة للأخ المنشد الحاج باسم الكربلائي، فقد كان تعاملي معه منذ عام (١٩٨٦م) وقد استمرت علاقتي معه إلى الآن، فهو أقرب من روحي لي.

وبالنسبة للخطباء فقد زودت الخطيب الشيخ عبد الحميد المهاجر بعدة قصائد في رثاء العترة عليهم السلام وكذلك للخطيب السيد محمد باقر الفالي الموسوي وغيرهم، وأدعو من الله عز وجل أن يجعلني أقل خدام

المنبر الحسيني.

ينابيع: لكل زرع ثمر يأتي أوان حصاده والشاعر ثمره القصائد والحصاد هي الدواوين فكم ديوان بلغ لديكم الآن.

الكاظمي: أحمد الله كثيراً لتوفيقه إياي في خدمة أهل البيت عليهم السلام، فقد كان نتاجي:

أولاً: موسوعة (الدموع الناطقة) التي وصلت إلى جزئها العشرين.

ثانياً: ديوان (ملحمة جابر الكاظمي).

ثالثاً: (ديوان أبوذية وموال جابر الكاظمي).

رابعاً: مجموعة شعرية بعنوان (مصباح أمس). وهناك الكثير من المشاريع الأدبية التي لا مجال لذكرها.

ينابيع: ما القصيدة التي يلهج بها لسان الكاظمي في مناجاة أهل البيت عليهم السلام؟

الكاظمي: لي أربعة أبيات من قصيدة لم تكتمل بعد، وبيني وبينها محاكاة تشد أحاسيسي إليها:

يا كعبة في جبين اللوح تزدهر
صلت على مقلتيك الشمس والقمر
طافت بأركانك الأفلاك محرمة
وسبحت في علاك الأنجم الزهر
سبحان من صور الدنيا وزينها
بنور وجهك فازدانت بك الصور
بوركت يا بن علي وابن فاطمة
ما أنجبت مثلك الأزمان والعصر

ينابيع: شكراً جزيلاً للأديب الأستاذ الحاج جابر الكاظمي على إتاحة هذه الفرصة للقاء به والحوار معه.

الكاظمي: شكراً لكم وعلى اهتمامكم سائلاً المولى عز وجل أن يوفقكم إلى خدمة الإسلام والمسلمين ■

أجوبة مسابقة العدد الثالث عشر وأسماء الفائزين

تنويه: ارتأينا في مسابقة هذا العدد جعل بعض الأجوبة الصحيحة للأسئلة جوابين لا جواب واحد، اعتماداً على اختلاف الروايات، وذلك لإتاحة فرصة أكبر أمام المشاركين للدخول في قرعة الفائزين.

السؤال الأول: ب. ٨٥٥ هـ.

السؤال الثاني: أ. أبو طالب.

السؤال الثالث: أ. المدائن.

السؤال الرابع: ج. إبراهيم أحمر العينين/ محمد ذو النفس الزكية.

السؤال الخامس: أ. صفين.

السؤال السادس: ب. الفرزدق.

السؤال السابع: أ. الشيخ محمد حسين النائيني.

السؤال الثامن: ج. ليلة الرغائب.

السؤال التاسع: ب، ج. أخوان اثنان، أخوة ثلاثة.

الفائزة بالجائزة الأولى: رسول دريول جاسم/ الديوانية ـ قضاء الشامية.

الفائز بالجائزة الثانية: أثير قاسم صغير الأسدي/ النجف الأشرف.

الفائز بالجائزة الثالثة: أم علي الحسيني/ النجف الأشرف.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ اجتمع المسلمون عند الظهيرة بغدير خم فقام النبي(ص) فخطب فيهم قائلاً: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» كم كان عدد المسلمين؟

أ ـ ١٠٠،٠٠٠

ب ـ ١٢٠،٠٠٠

ج ـ ١٥٠،٠٠٠

٢ **اليوم يوم الملحمة**
اليوم تسبى الحرمة

بيت ارتجزه أحد الأنصار حين دخوله مكة مع جيش المسلمين.

فمن هو؟

أ ـ أبو أيوب الأنصاري

ب ـ سعد بن عبادة

ج ـ سعد بن معاذ

٣ **لا صوت الناعي بفقدك أنه**
يوم على آل الرسول عظيم

بيت من أبيات رثى بها الحجة القائم(عج) عالماً جليلاً من علمائنا.

فمن هو؟

أ ـ الشريف المرتضى

ب ـ الشيخ المفيد

ج ـ الشيخ الصدوق

٤ الشيخ الأنصاري فقيه كبير مجدد، ولد سنة ١٢١٤هـ وهو أحد الدعائم التي قام عليها كيان المرجعية، وكتابه (**المكاسب**) يغنيه عن الذكر. في أي تاريخ توفي؟

أ ـ ١٨ ربيع الثاني ١٢٨١

ب ـ ١٨ جمادى الأولى ١٢٨٢

ج ـ ١٨ جمادى الثانية ١٢٨١

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (١٥) شهر ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٧هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ ما هـي الغزوة التي لـم يخرج فيها أمير المؤمنين(ع) مع المسلمين وبقي في المدينة؟

أ ـ غزوة تبوك

ب ـ غزوة حنين

ج ـ غزوة خيبر

٦ أبو ذر الغفاري، ما أظلت الخضراء ومـا أقلت الغبراء أصدق ذي لهجة منـه، أبعده عثمـان بن عفـان إلى مدينة أخرى. ما اسمها؟

أ ـ الحميمة

ب ـ مؤتة

ج ـ الربذة

٧ استشهد الإمام الجواد(ع) ببغداد وله من العمر (٢٥) سنة ودفن في مقابر قريش. فكم عدد أبنائه؟

أ ـ ولدان وبنت واحدة

ب ـ ولد واحد وبنت واحدة

ج ـ بنتان وولد واحد

٨ من أصحاب أميـر المؤمنين(ع) قال فيه النبي(ص): «من سره أن ينظر إلى رجل تسبق بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى...» فمن هو؟

أ ـ صعصعة بن صوحان

ب ـ زيد بن صوحان

ج ـ خباب بن الأرت

٩ محمد حسـين الأصفهاني طود من أطـواد العلـم وركن مـن أركانه، لـه أرجوزة فـي مدح ورثـاء أهل البيت(ع). فما اسمها؟

أ ـ الجواهر القدسية

ب ـ الأنوار القدسية

ج ـ النفحات القدسية

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.
* يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسـم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسـل على عنوان المؤسسة.
* آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/صفر/١٤٢٨هـ.

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			